الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

في محراب التاريخ

الشيخ محمد الثاني الحسني

قام بالنشر والتوزيع :
مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية
دار عرفات . دارة الشيخ علم الله - رائ بريلي - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

١٤١٣هـ

١٩٩٢م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي

يطلب الكتاب من :

١- المكتبة الندوية - ندوة العلماء ص. ب ٩٢ - لكناؤ

٢- و مكتبة حـــــراء - مكارم نگـــر - لكنـــاؤ

٣- و مكتبة إسلام - محمد علي لين-گوئن روڈ-لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد النبي الأمي وآله وصحبه أجمعين وبعد !

فإن شهداء الإسلام وقادة الجهاد والدعوة الإسلامية الذين وهبوا نفوسهم وأرواحهم لله تعالى ونفضوا أيديهم من هذه الحياة وما يتبعها ، ليسوا في حاجة إلى أن يعترف بجهودهم من جاء بعدهم ، وينصب تذكاراً لهم فإنهم عند الله في دار كرامة ، وقد لقوا رباً شكوراً يجزيهم على عملهم أفضل الجزاء ، وقد قال في كتابه العزيز : ﴿ فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى • بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفّرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنّهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله • والله عنده حسن الثّواب ﴾ .

كأن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الأفذاذ الذين أخلصهم الله

www.abulhasanalinadwi.org

بخالصة هي الإيمان والاحتساب وابتغاء الرضا والثواب وطهر قلوبهم عن الرياء والسمعة . وهانت في عيونهم الدنيا ومطامحها ومناصبها حتى كانت كالذباب أو كومة من تراب .

ولست بصدد ذكر دوره الذي قام به في النشأة الدينية الحديثة والتجديد الإسلامي الأخير . وما كان لدعوته وجهاده من أثر عميق على عصره وبيئته . وعلى جميع الحركات والنشاطات التي قامت في شبه القارة الهندية وما جاورها من بلاد وأقطار .

ولكن نحب أن نسعد بافتتاح لمجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية بإصدار كتيب صغير يحتوي على كلمات ومقالات حول هذه الشخصية الفذة . وقد أسس هذا المجمع قبل عدة سنوات الشيخ محمد الثاني الحسني - رحمة الله عليه - .

قد ألف في ترجمة الإمام كتب ضخام ومؤلفات كبار ولكن غالبها في الأردية ولحض باسم « إذا هبت ريح الإيمان » في اللغة العربية سماحة الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي وهو من ابدع المؤلفات في هذا الموضوع وأكثرها تأثيراً على القلوب جمع الشيخ فيه روايات من هذا التاريخ العجيب في أسلوب قصصي شائق لها أثر خلاب في النفوس . ولسماحته كتاب في مجلدين ضخمين في ترجمة حياة الإمام في الأردية فمست الحاجة إلى تلخيصها فقام الشيخ محمد الثاني الحسني - رحمه الله - به أحسن قيام ونقله إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوي . فاخترنا هنا المخلص لهذا الكتيب بإيعاز من سماحة سيدي العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - ابقاه الله تعالى ذخراً للإسلام والمسلمين - وأضفت في آخر هذا الكتاب مقالتين مؤثرتين الأولى منهما للعلامة الندوي - حفظه الله - بعنوان

www.abulhasanalinadwi.org

« شهداء بالاكوت يتكلمون » و هي في الأصل مقتبسة من سيرته الضخمة نقله إلى العربية ابن أخيه و والدي الكريم الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله - والثانية بقله بعنوان : « سرّ عبقرية الإمام » فجزاهم الله تعالى .

ونشكر فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على تقديمه القيم لهذا الكتاب من أعماق قلوبنا وندعو الله عز وجل أن يجعل عملنا هذا خالصاً متقبلاً ومفتتحنا لهذا المجمع البكر مفتتحاً مباركاً سعيـــداً ، و أن يوفقنا لما يحب و يرضى ، و آخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بلال عبد الحي الحسني الندوي

٢٨/ربيع الأول ١٤١٢هـ

مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية

دار عرفات ، دائرة الشيخ علم الله ، رائ بريلي - الهند

. .. .

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم الكتاب

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

إن حياة الرسول ﷺ الفردية والاجتماعية في المرحلتين المكية والمدنية هي الأسوة الكاملة الشاملة للمجتمعات الإسلامية وللأفراد المسلمين في مجالات السيرة والسلوك والدعوة والسياسة جميعاً أما المرحلة الأولى من المرحلتين فقد كانت مرحلة الاعداد الإيماني والخلقي للفرد وتربيته على السلوك الجميل والدعوة إلى الفضيلة و مواجهة الأوضاع بحلم و صبر وحكمة .

أما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة تحكيم الشريعة الإسلامية على جوانب الحياة وتنظيم المجتمع على الأسس الاجتماعية الراشدة ودعوة الآخرين ، ويفتقر المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة إلى استخدام القوة لحصانة المجتمع الإسلامي في داخله ولمواجهة المجتمعات المعادية في خارجه ، أما في داخله فيكون ذلك بقوة النظام والحكم ، وأما في خارجه فيكون بالدعوة العالمية وبالجهاد الإسلامي ، وللجهاد الإسلامي شروط وأحكام في الشريعة الإسلامية يجب لصحة الالتزام بها .

www.abulhasanalinadwi.org

والجهاد المبنى على أحكام الشريعة الإسلامية أكبر عمل وأجله في الإسلام . وصفه رسول الله ﷺ بأنه ذروة سنام الإسلام فكما يكون السنام فوق ظهر الجمل وتكون ذروة السنام فوقه كذلك يكون الجهاد ولا يرتقى إنسان إلى هذه الذروة إلا إذا ارتقى أولا المدارج التي قبلها : وهي التي سارت عليها جماعة الصحابة رضي الله عنهم تحت قيادة رسولهم ﷺ فأولا دخلوا في الإسلام . وكان دخولهم دخولاً شاملاً . امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي لا تكونوا مسلمين في جوانب من الحياة وغير مسلمين في جوانب أخرى . فإنهم آمنوا إيماناً كاملاً ثم قاموا بدعوة غيرهم إلى هذا الإيمان فقد أسلم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قام بدعوة غيره من أبناء قريش فكان في حظه كبار الصحابة . ولاقى المسلمون في هذا العهد كل أذى واستمروا على احتمال العذاب لفترة غير هينة من الزمن و قضى رسول الله ﷺ واقرب أعضاء قبيلته في شعب أبي طالب في حياة أسر ومقاطعة ثلاث سنوات عقاباً على عمله الدعوى . و عذب أناس في رمضاء مكة وضربوا وأوذوا حتى ذكر أحدهم لرسول الله ﷺ ان الأذى قد بلغ هذا المبلغ فمتى يأتي نصرالله فأمره رسول الله ﷺ بالصبر وذكره بما لقيه المسلمون من أتباع الرسل الماضين من العذاب في سبيل الله .

لماذا كل ذلك ؟ ألم يكن في قدره الله أن يحفظ المسلمين من هذه المحن ولكن الله تعالى أراد تربيتهم على الإيمان ومجاهدة النفس على عمل الدعوة ليستعدوا لما هو فوقه من الإيثار والتضحية وهو الجهاد في سبيل الله . الذي لا يشوبه غرض من الأغراض المادية ولا يشاركه أي نوع من أنواع الهوى والنفسانية فلا الحمية القبلية ولا مبرر

www.abulhasanalinadwi.org

الشجاعة بل إنما لتكون كلمة الله هي العليا .

إن تخليص العمل لله وحده وتخليص عمل القتال من أي مبرر نفساني أو مادي أشد مراتب التضحية والفداء ، ولا يتيسر هذا التخليص بمجرد القصد والإرادة ، بل لابد قبل ذلك من تربية وتدريب على امتثال أوامر الله تعالى رغماً من المصالح المادية وأهواء النفس ، وهذه المرتبة تأتي في قمة حياة التضحية والفداء وبعد إكمال مرحلة الإعداد المعنوي الروحي ومهاجرة الوطن وقد مر الرسول ﷺ وأصحابه السابقون الأولون منها وهم الذين آمنوا إيماناً قوياً كاملاً وشغلوا أنفسهم بتربية نفوسهم على أخلاق الداعية المجاهد إلى آن رسخ فيهم الاخلاص لدين الله وثبتت نفوسهم على السنة السنية فأصبحوا لا يزحزحهم عن مكانهم الإيمانية اغراء أو امتحان ثم دخلوا بتوجيه رسول الله ﷺ في المرحلة الثانية بهجرة أوطانهم وبيوتهم والتحاقهم إلى بلد غريب ليتمكنوا من تنظيم الحياة الاجتماعية على السنة السنية و كان ذلك بارتحالهم إلى بلد حر يستقلون فيه لتشكيل مجتمع خاص بهم ، وتنظيم الحياة والنظام وفقاً للشريعة الإسلامية والقيام بالدعوة فلما اكملوا مرحلة الاعداد الإيماني وهاجروا وطنهم اذن الله لهم بالقتال ، ﴿ واذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير ﴾ .

وضعف الجهاد الإسلامي كان قد تضاءل في التاريخ الماضي الأخير لأن المسلمين أساءوا تنفيذه بل أفسدوه وجعلوه قتالاًبحتاً أو مستوياً بغير الإسلام ، لا يستقى أسسه ومبادئه من الشريعة الإسلامية وسنة الرسول ﷺ بل كان قتالهم في أكثر الأحيان منبثقاً من أسباب ومبزرات مخالفة لمقاصد الشريعة الإسلامية وعلى غير اتباع أسوة الرسول ﷺ .

www.abulhasanalinadwi.org

وبذلك كان هذا الجانب المهم من حياة المجتمع الإسلامي مفتقراً إلى احياءه وتنفيذه ، وهو يأتي قوياد سليماً وموافقاً لمبادئه الإسلامية الصحيحة عند ما تسبقه المرحلة الأولى مرحلة تربية الأفراد الخلقية والدينية والاعداد الإسلامي الصحيح لأن الأفراد أعضاء الجماعة التي تقوم بالجهاد وإذا لم يكونوا اكفاء بسيرتهم واخلاصهم واحتسابهم في العمل الصعب الجليل فكيف يصح منهم هذا العمل وكيف تأتي نتائجه المحمودة الموعودة من الله تعالى ، وكيف ينالون أجراً وعده الله عليه ، وكثيراً ما يقع النقص في هذا الجانب بسبب وجود النقص في حياة الأفراد فيفوت المسلمين هذا العمل الجليل .

ولقد من الله تعالى على الهند في القرن الثالث عشر الهجري إذ منح المسلمين شخصية تربت تربية صالحة ونشأت نشأة توهله للقيام بهذه المهمة الجليلة ، وهي شخصية الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله رحمة واسعة - فقد تربي على خير علماء زمانه الربانيين ، وتهذبت بعون الله سيرته ثم حصنه الله تعالى بالإيمان واليقين واخلاص النية ، ومكن في قلبه علو الهمة للعمل الإسلامي في مختلف مجالاته فقام بالدعوة والإصلاح أولاً وطاف لهذا الغرض في المجتمعات الإسلامية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويربى رفاقه والمتصلين به على الإيمان والتقوى والاحتساب ، ويقوم باعدادهم اعداداً يتناسب مع مهام أوسع وأكبر لدين الله تعالى ، ولما رأى أنهم قد تهيأوا وصلحت نفوسهم قام بالمسئولية الكبيرة وبدأ مرحلة ثانية من حياته وحياتهم وهي مرحلة التصدى لتنفيذ الحق فقام بالهجرة أولاً وبدأ الجهاد المبنى على الشريعة الإسلامية ، والهجرة أيضاً عمل كبير جداً هي التضحية بمألوفات الحياة مع هجر الوطن الذي فيه درج صاحبه وعجنت من ماءه

www.abulhasanalinadwi.org

طينته ، والهجرة تقارب الجهاد في جلالة شأنها وهي خطوة أولى للجهاد وتمهيد له ، وجاء أمر الله باذن الجهاد في إثرها .

لقد كان الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فلتة من فلتات الدهر ، فريداً بين أقرانه بما جمع بين الجانبين جانب التربية الروحية والخلقية والدعوة وجانب الجهاد بالسيف وتحكيم الشريعة ، وبما جمع بين المرحلتين مرحلة تربية الفرد وتكوين شخصيته الدينية والسلوكية وبين التكوين الاجتماعي لجموع أتباعه ورفاقه على الأسس الدينية المثلى ، ولم يحصر عمله في الجهود القولية والوعظ المجرد ، والإرشاد السلبي البحت ، بل بدأ التنفيذ العملي بتطبيق النظام الشرعي ، أنه كان في الفترة الأولى من حياته القيادية مربيا دينياً ومرشداً روحياً ومصلحاً للباطن ، وكان في الفترة الثانية داعية ومبلغاً ومصلحاً اجتماعياً ومطبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية في العبادة والسلوك ، أحيا فريضة الحج وكانت متروكة مهملة بسبب ما توهمه المسلمون من أن الطريق إلى الحج ذو خطر فاسقطوا بذلك عنهم فريضة الحج وظنوا انه لم يعد متيسراً لهم شرط ﴿ من استطاع إليه سبيلا ﴾ ، وأحيا العمل بانكاح الأيامي وكان قد عد عيباً فنفذه على نفسه أولاً ، وكافح البدع والخرافات التي كان المسلمون قد ابتلوا بها ، إلى حد الإشراك بالله بصورة غير مباشرة ومباشرة ، فقد كانت تصنع الضرائح لسيدنا حسين بن علي - رضي الله عنه - وكان الناس يقومون بالتقديس لها والاعتقاد بها وكان عديد من المنكرات الجسيمة شائعة عامة في المجتمعات المسلمة مثل الاستهانة بالدين و الكسب الحرام و غبن الحقوق ، واضاعة الصلوات وأتباع الشهوات ، فقام الإمام بمحاربتها وإصلاح المسلمين فيها .

www.abulhasanalinadwi.org

ولقد كان من فضل الله على عباده المسلمين في الهند أنه جعل التأثير الكبير على لسان الإمام الشهيد والاشعاع المنير في سيرته وعمله ، و جاذبية وسحراً في وعظه ونصيحته بحيث انه لم يكن يمر في جولاته الدعوية من قرية إلا ويتهافت مسلموها عليه استقبالاً له وانصياعاً ، ولم يكن يتصل به أحمد ويسمع وعظه ويرى خلقه وسيرته إلا وينجذب إليه انجذاباً ، يسير في زكبه ويتلقى منه تربية روحية ثم يكمل معه رحلة حياته فيرافقه في الحج والهجرة والجهاد .

وبذلك كله اتسم عمل الإمام الشهيد باصلاح الباطن والقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله وتحكيم الشريعة الإسلامية في الحياة الفردية والاجتماعية ، وكان ذلك عند ما صارت الرقعة الكبيرة من شبه القارة تحت نير الاستعمار والانجليز أو كانت تحت وطأة الكفار من الطوائف الأخرى ، وكان المسلمون في حالة بؤس وضيم وشقاء ، فصمم الإمام على القيام بتغيير الوضع بالجهاد الشرعي المسلح حيث لم يكن يجد الأمر في هذا المجال ناجعاً بجهود الدعوة السلمية وحدها ، فأراد أن يجعل مقره في بلد خارج من حكم الأجانب الغربيين فهاجر وقام من وراء هجرته بالجهاد ..واحرز انتصارات ، وأقام حكماً شرعياً إسلامياً في مناطق افتتحها للإسلام ، وبدأ يزحف جيشه المحتسب المجاهد في سبيل الله إلى مناطق جديدة ، كانت ترزح تحت حكم الكفار ولكن منافقين من أبناء المناطق المجارة قاموا بمؤامرة قتلوا فيها ولاة الإمام الشهيد ليلاً وانتزعوا الحكم منهم ثم قام واحد منهم بدلالة حكومة سيخ الكافرة الظالمة على طريق يفضي إلى الفرقة الأساسية لجيش الإمام في قرية جبلية محاطة من الجوانب المختلفة وهناك هجم جيش الكفار الكثيف على فرقة جيش الإمام فكان من نتيجة ذلك شهادة الإمام

www.abulhasanalinadwi.org

وشهادة خاصة رفاقه . وأثر ذلك على البقية الباقية من قيادات الإمام ولم يعد متيسراً لهم الجهاد المسلح ولكنهم استمروا بطرق مختلفة في الكفاح والاصلاح . ومنها المقاومة السرّية ومنها عمل الدعوة والإرشاد . فكان من تأثير ذلك اضعاف قوة المستعمر وإصلاح أحوال كثير من جمهور المسلمين وتحويل عدد ضخم لغير المسلمين إلى الإسلام . واستمر أثر ذلك إلى القرن التالي بل إلى عصرنا الحالي أيضاً بصورة غير مباشرة . ولا تزال الأمة الإسلامية الهندية مدينة في كثير من أحوالها الدينية للخير الذي نالته من الجهود التي بذلها الإمام وأعوانه في الهند .

إن حياة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجهوده للإصلاح والتربية الدينية وجهاده بالسلاح وغير السلاح حياة مثالية وأسوة لكل العاملين في الأوضاع التي واجهها الإمام في زمانه وهي أوضاع تتكرر في كثير من العهود والأزمان . نستطيع بذلك أن نقتبس منها جذوة للعمل الإسلامي والدعوة وتحكيم الشريعة الإسلامية في حياتنا الفردية والاجتماعية في العقيدة و العبادة والسلوك والجهاد .

لقد سجل عديد من تلاميذ الإمام وأتباعه حياة عمله الاجتماعي وهجرته وجهاده وألفوا في ذلك كتباً أصبحت مصادر للاطلاع على حياته المرشدة المفيدة . ودرس سماحة أستاذنا الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي هذه المصادر واستخلص منها صورة كاملة لهذه الحياة وأودعها في كتابه الذي ألفه في ترجمة الإمام باللغة الأردية وقد جاء الكتاب في مجلدين كبيرين . وحرك هذا الكتاب نفوس كثير من أصحاب الإيمان والغيرة الدينية وأثار في قلوبهم رغبة وحنيناً إلى اقتباس الجذوة والحماس من حياة الإمام .

www.abulhasanalinadwi.org

والكتاب لم يكن مما نقل إلى العربية غير أن رسالة مختصرة في ترجمة الإمام باللغة العربية كان قد ألفه نفس المؤلف المؤثر في أوائل حياته العلمية وكانت نشرتها دار مجلة الفتح لصاحبها الشيخ محب الدين الخطيب في القاهرة ولكن الرسالة لصغر حجمها و اختصارها الشديد لم تكن تفتح نافذة واسعة على حياة هذا الإمام فكانت الحاجة ماسة إلى عمل أوسع وكانت لا تزال هذه الحاجة باقية إلى أن قام أخي الأكبر الشيخ محمد الثاني الحسني المرحوم بتلخيص كتاب سماحة الشيخ الندوي الكبير تلخيصاً ينتفع به من يريد الاطلاع على حياة الإمام باختصار ونقل هذا التلخيص أخي الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي إلى العربية فسد بذلك العوز وهيأ للدارسين العرب الاطلاع على ترجمة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله تعالى - ومكانته العظيمة في تاريخ الإصلاح والدعوة والجهاد في الإسلام ويعد الكتاب الكبير الأردي حلقة من حلقات تاريخ الدعوة والإصلاح في الإسلام و جزءاً سابعاً له فيجوز أن تعد هذه الصورة العربية كالجزء السادس لسلسلة تاريخ الدعوة والإصلاح التي ظهرت منها خمسة أجزاء .

ندعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بالأجزاء الخمسة الأولى قبله ويقبل سعي مؤلفه ، وملخصه ومترجمه إلى العربية ويجزى الجميع خير الجزاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

محمد الرابع الحسني الندوي

دار عرفات - رائ بريلي

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد أحمد بن عرفان الشهيد رحمة الله عليه

الهند في القرن الثالث عشر :

كانت الهند في القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر للميلاد) قد وصلت إلى الحضيض بالانحطاط السياسي ، والديني ، والخلقي ، وقد تفرقت عصا المغول ؛ فكانت الهند كلها خاضعة ، أما لشركة الهند الشرقية أو لخلفائها ، أما الأجزاء المتبقية المنعزلة منها ، فكانت خاضعة لسلطة الاقطاعيين ، والراجاوات ، والنواب الذين كانوا ينقادون بدورهم طوعاً أو كرهاً للانجليز ، ويسلمونهم مناطقهم ، ولم يكن آخر الملوك المغول : الشاه عالم (الذي ولد السيد أحمد الشهيد في عهده) إلا ملكاً بالاسم ، لا حول لـــه ولا طول ، وكانت سائر المناطق الواقعة بين الجنوب الذي كانت فيه حكومة « حيدرآباد » إلى « دلهي » تحت رحمة المرهتيين ، أما السيخ فكانوا يحكمون المناطق الواقعة بين «بنجاب » إلى « أفغانستان » لا يأمن استبدادهم الجزء الشمالي ، والمركزي

www.abulhasanalinadwi.org

للهند . وكانت « دلهي » وضواحيها عرضة لغارات السيخ والمرهتيين حيناً بعد حين . و كانت هيبة المسلمين السياسية قـــد خرجت من القلوب . ولم يكن لهم قائد يؤلف شملهم . ويوحّد صفوفهم . فعمّت الفتن والاضطرابات . وتوالت عليهم المحن التي كانت تضعفهم وتزيد وهنهم . وتؤلب عليهم أعداءهم .

سبب تدهور الحالة الخلقية للمسلمين في البلاد . في تفشي حياة الخلاعة و المعاصي . و دخلت عادات قبيحـــة كثيـــرة في حضارتهم وثقافتهم . وكانوا يتباهون ويعتزون بها فكان شرب الخمر أمراً عادياً بسيطاً . لا يأنف منه المسلمون . وعمّت الملاهي ونوادي الطرب والغناء والرقص . واصطبغ الناس من الأغنياء ورجال الطبقة المتوسطة حتى الفقراء بهذه الصبغة . وأصبحوا عرضة للفساد الخلقي . ويمكن أن يقاس مدى انغماس الناس في الانحلال الخلقي . والشرود الفكري . والفتور القومي . بأن عدداً من النساء المسلمات كنّ في دور التجار والحكام الأربيين قبل أن ترسخ قدم الانجليز كلياً في أرض الهند . وعمّ الشرك والبدع في المسلمين . فاتخذوا لهم شريعة خاصة لتقديس القبور والموتى . وحلّ المشائخ ورجال الدين في قلوبهم محل كهنة النصارى واليهود . وبلغ تقديسهم لهم مبلغ تقديس المشركين العرب لأربابهم . و دخلت طقوس و عادات للهنادك والشيعة في حياة أهل السنّة . وصارت جزءاً لا يتجزأ منها . وأصبحت السنة والشريعة درساً منسياً . وانصرف الناس عن الشعائر الإسلامية . وكاد العمل بالقرآن والحديث يبطل . وتضاءل الاهتمام والعناية بهما . وكره الناس زواج الأرامل . وإشراك البنات في الارث . وتركوا السلام بطريق السنة في كثير من الأماكن . كما أن طائفة من العلماء أسقطت فرضية الحج . وهو

www.abulhasanalinadwi.org

من أهم أركان الإسلام ، بعذر أخطار السفر واضطراب النظام ، وأصبح القرآن لهم لغزاً يقتصر فهمه و دراسته على العلماء و الراسخين في العلم ، لا يقصده أحد غيرهم .

ولكن رغم هذه الظروف السائدة ، لا يصح أن يقال : إن الهند كان يسود عليها الظلام المطبق ، وانها تجردت عن النشاط السياسي ، والحرارة الإيمانية ، في القرن الثالث عشر تجرداً كلياً ؛ فكانت آثار الحياة وإشعاعات النور تتخلل الانحطاط الذي قد أحاط بالهند ؛ فكان مستهل القرن الثالث عشر من جهة أخرى من أهم العصور في تاريخ الهند الإسلامي ، بالنظر إلى وجود شخصيات بارزة ، كانت تمتاز بخدماتها عمّا أنجبته القرون السالفة من شخصيات ؛ فأنجب هذا القرن عدة شخصيات تمتاز بعلو كعبها في العلم ، والدين ، والذوق السليم ، والمعرفة الواسعة عن الكتاب والسنة ، والذكاء ، والصلاحية ، والملكة الراسخة ، والسليقة العلمية ، والدرس والتدريس ، والتصنيف والتأليف ، والتبحر العلمي ، والشعر والأدب ، والربانية وتهذيب النفس ، والعلوم الأخرى التي كانت تتفرد فيها ، ولم يكن هذا العهد رغم الفقر في الرجال والنوابغ يخلو من طلب الدين وتقديره ؛ فكانت توجد في أماكن مختلفة ، شبكة للمدارس ومعاهد للتعليم الديني ، ومراكز التربية الروحانية ، وكان العلماء في مختلف مدن البلاد يقومون بعمل نشر العلم والدين ، والتصنيف والتأليف ، ينهمكون فيها كل الانهماك ، منصرفين عن الأعمال الأخرى ، وكانت المدارس عامرة بطلبة العلوم الدينية ، ومراكز التربية الروحانية ، والزوايا ، بالقلوب المتدفقة بالحياة ، متعطشين إلى التربية الروحانية ، وكان يكون كبار رجال التدريس والسلوك ، كل بمفرده مدرسة عامرة ، وزاوية مستقلة ، وقد يجتمع

www.abulhasanalinadwi.org

المركزان العلمي والروحاني ، في مكان واحد .

لا شك أن هذه المراكز العظيمة ، والثروة العلمية والدينية ، التي قامت بمساعي السلف ، بدأت تنكمش بمر الأيام وتفنى ، لأنها كانت تحتاج إلى دم جديد ، ومد جديد : فقد كان باب الدعم والانعاش مغلقاً رغم وجود صلاحيات بارزة ، وكفاءات هائلة ، ولكنها لم تكن تجد منفداً لإشعاعها وبسط نورها ، وكانت الصفات العالية مثل الشجاعة ، والجلد ، و علو العزيمة و قوة الشكيمة و الغيرة و الحمية الدينية والأنفة ، تستخدم لتحقيق مقاصد تافهة حقيرة ، لأن الحياة كانت بلا هدف سام ، ولم يكن هناك اتجاه سليم لصرف الهمم ، و توجيه الكفاءات ، فكانت العواطف والطموح تتجه إلى اتجاه خاطئ ، غير بناء .. أفراد لا مجتمع ، أوراق ولا كتاب يؤلفها ، فكانت عجلة الحياة منحرفة عن الخط السليم ، والجادة المستقيمة ، و لم يكن هناك سمط لنظم الدرر واللآلي ، فصارت الحياة بلا حركة نافعة ومجدية .

في مثل هذا الوضع المضطرب كانت الحياة تتعطش إلى شخص أو جماعة تحولها إلى المجرى الصحيح ، وتستغل الثروة الدينية ، والكفاءات العلمية استغلالاً صحيحاً ، ونافعاً مثمراً ، ويحيى روح الزوايا وعلم المدارس ، وحرارة الأولى ونور الآخرة ، ويعممها في سائر أنحاء البلاد ، والذي يضم في حضنه مثل الزوايا ، ونماذج المدارس المتنقلة ، فيكون على متن الفرس عالماً ، وفي المحاريب مجاهداً ، يلهب جذوة الإيمان من جديد ، ويعيد الحرارة إلى القلوب الفاترة مرة أخرى ، وينفخ الروح في الجسد الميت ، ويحيى الحرص على نيل علم الدين ، والحمية الدينية من أدنى الأرض إلى أقصاها ، ويصرف السليقة الطبيعية والكفاءة المرهوبة للمسلمين إلى الاتجاه السليم ، ببصيرته

www.abulhasanalinadwi.org

وتشخيصه الصميم . فلا يستهين بشئ ولو كان مهيناً . ويستغل كل حبة من ذخيرة الأمة . وكل ذرة من صحرائها لبناء صرحها من جديد . وكل من يتصف بهذه الصفات السامية يعدّ إماماً في المعجم الإسلامي . واحتل هذه المرتبة السامية في رجال القرن الثالث عشر بين مشاهير العلماء وكبار القادة السيد أحمد الرائي بريلوي الذي يشتمل هذا الكتاب على نبذة من أحواله . وقصصه . ووقائع عزيمته . وجهاده . وتأثيره . وقوة تربيته . وحياته التي لا تعرف الهدوء والاستقرار .

أسرتـــه :

كان شيخ الإسلام قطب الدين محمد المدني بن رشيد الدين الذي كان جده الثاني عشر محمد (ذو النفس الزكية) بن عبد الله المحض بن حسن (المثنى) بن حسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عالماً وعارفاً بالله . وشيخاً عالي الهمة . وهبه الله تعالى مع علمه وتقواه . صفات الشجاعة و عاطفة الجهـــاد . و قـــد وصل إلى الهنـــد بطريق « غزنين » مع جماعة كبيرة من المجاهدين . وبعد تعرجه على أماكن مختلفة فتح « كره » في ولاية «إله آباد » واستوطنها بعد فتحها . وتوفي فيها . وبها قبره . رزق الله تعالى أولاد السيد قطب الدين مع السيادة والامارة . العلم . والفضل . والزهد . والورع . وكان في أخلاف السيد قطب الدين الشيخ علم الله . أحد كبار المربين في عهد الامبراطور « عالم كير» و له أتباع وتلاميذ يكثر عددهم . وقد أجازه السيد آدم البنوري أحد كبار خلفاء الشيخ أحمد السرهندي المعروف بـ « مجدد الألف الثاني » وكان متورعاً للغاية . ومتبعاً للسنة . وزاهداً ربانياً . توفي في ١٠٩٦هـ - ١٦٨٤م . و دفن في زاويته التي أنشأها

www.abulhasanalinadwi.org

فـــــي « رائ بريلي » .

مولـــده :

ولد السيد أحمد بن السيد محمد عرفان بن السيد محمد نور ، والشيخ علم الله جده الخامس في صفر ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م ، ودخل الكتاب وهم لم يناهز أربع سنوات من العمر ، ولكنه رغم جهده لم يرغب في التعلم ، فلم يحرز أي سبق في الدراسة ، وقد كان ولوعا منذ صباه بالألعاب ، والفروسية ، والرياضة ، فلما بلغ أشده جعل خدمة الخلق نصب عينه ، فكان شغوفاً بها ، وكان يأتي بأعمال يعجز عنها حتى كبار الرجال الصالحين ، فلا يترك فرصة لخدمة الأرامل ، ولكن لا يقف ذلك في الانهماك في العبادة فيقضي ساعات في تأملاته وذكر الله ، والتسبيح له بكرة وأصيلاً ، ثم ينصرف إلى التمرينات الرياضية المختلفة للتربية الجسمانية ، وكان يتقن السباحة فكان يقضي وقتاً طويلاً في الماء .

السفر إلى « لكناؤ » في طلب الرزق :

توفي والده الشيخ محمد عرفان وهو في الثانية عشرة من عمره ، فاقتضت الظروف أن يتولى مسؤوليات منزله ، ويفكر في طلب الرزق ، فخرج مع سبعة من أقاربه إلى « لكناؤ » سعياً وراء الرزق في السادسة عشرة من عمره ، وتبعد « لكناؤ » بنحو ٨٢/كيلومتراً عن « رائ بريلي » ، ولم يكن هناك نظام للمواصلات ، وكان لديهم مركب واحد ، يركبه كل شخص بالتناوب ، وإذا أتى دور الشيخ أحمد تنازل عنه لأحد أقاربه ، وأصر على إركابه ، وسار مشياً على الأقدام ، وقطع

www.abulhasanalinadwi.org

المسافة كلـهـا خادمـاً يحمل أمتعتهم ، فوصل إلى « لكناؤ » و كانت « لكناؤ » عندئذ تحت حكم النواب سعادة علي خان خلف النواب شجاع الدولة ، وكان النواب ذا همة عالية ، وقدرة إدارية فائقة ، ولكن كان الناس رغم ذلك .. يعانون بطالة ، وبؤساً عاماً باستثناء بعض الاقطاعيين ورجال التجارة .

وتفرق جميع الرفقاء سعياً وراء كسب العيش ، وانهمكوا في أعمالهم ، وكان العيش غالياً وفرص العمل غير متوفرة ، فلم يكونوا يكسبون بعد جد وكد ، وشغل شاغل طول النهار سوى ما يسدون به الرمق ، أما السيد أحمد نفسه ، فقد كان ضيفاً على أحد الأثرياء ، الذي كان يكن لأسرته احتراماً ، وينظر إليه بعين التقدير والاجلال ، وكان السيد أحمد كلما ورد إليه غذاؤه ، آثر به رفقاءه ، واكتفى هو بما تيسر من الطعام الخشن .

في حضرة الشيخ عبد العزيز :

قضى السيد أحمد أربعة شهور في هذه الحال ، وذات يوم توجه والي « لكناؤ » للصيد إلى منطقة جبلية ، ورافقه كذلك مضيف السيد أحمد ؛ فصحبه السيد أحمد مع رفقائه ، وقطع هذه الرحلة أيضاً خادماً يقوم بأعمالهم ، ويريح بالهم ، ويخفف عنهم وطأة السفر ، وقد كابدوا في هذه الرحلة متاعب وصعوبات شديدة ، وكان السيد أحمد طول الطريق يرغب رفقته في السفر إلى « دلهي » ويحبب إليهم الاستفادة من الشيخ عبد العزيز ، ثم توجه إلى « دلهي » وحده .

قطع المسافة بكاملها راجلاً ، يخدم المسافرين ، جائعاً عطشان ، حتى نقبت قدماه بالمشي الطويل على الأقدام ، ووصل إلى « دلهي »

www.abulhasanalinadwi.org

بعد أيام ، وحضر مجلس الشيخ عبد العزيز ، وقد كان الشيخ عبد العزيز الدهلوي يرتبط بعلاقات روحانية ، وصلات علية مع مشايخ وأجداد السيد أحمد ، فأبدى سروره البالغ بعد أن تعرف عليه فعانقه وصافحه ، وأنزله في منزل شقيقه الشيخ عبد القادر .

التكميل الباطني ، والإجازة والخلافة :

كانت إقامة السيد أحمد عند الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد القادر فرصة غالية لكسب الرقي الباطني ، فارتقى خلالها إلى منازل ودرجات عالية ، لا يصل إليها كبار المشايخ إلا بعد جهد جهيد ، ومجاهدات مضنية ، وترويض نفس طويل ، ونال بعد مدة إجازة الشيخ عبد العزيز الدهلوي وخلافته ، وعاد إلى وطنه « رائ بريلي » ، وأقام عامين في وطنه ، ثم تزوج .

في جيش أمير خان :

كان السيد أحمد كما عرف من أول نشأته ، قد هيأه الله تعالى لأمر عظيم ، وقد عجن طينته بحبه والاهتمام به ، وهو الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء شأن المسلمين ، ونفض غبار الذل والهوان عن الإسلام ، فكانت نفسه تتوق إلى مجال يرضى فيه هذه الغريزة ، ويربي فيه ملكاته العسكرية ، ليقوم بدوره الذي وكل إليه .

فقام برحلة أخرى إلى « دلهي » في ١٢٢٦هـ - ١٨١١م ، وأقام برهة من الزمان لدى الشيخ عبد العزيز ، ثم انضم بتوجيه شيخه إلى جيش النواب أميرخان (الذي كان يقوم بقتال في « راجپوتانه » و « مالوه » واختار صحبته ورفقته للتربية العسكرية ، والجهد العملي ، ومقاومة

www.abulhasanalinadwi.org

خطر الزحف الانجليزي ، وكان النواب أمير خان قائداً أفغاني الأصل ، ذا همة عالية ، من سكان « سنبهل » (روهيلكهند) وقد التفت حوله عدد كبير من المغامرين من أصحاب الطموح ، والفتوة ، والفروسية ، والرفقاء الأوفياء المتحمسين ، ذاع صيته كقائد عسكري وفارس ، وأصبح يخشى ويرجى في مناطق الأمراء الذين كانوا في صراع دائم ، ومعارك حربية مع الانجليز ، حتى أصبح بمر الأيام تحدياً لم يكن الانجليز ليتغاضوا عنه ، ويستهينوا به .

مكث السيد أحمد في جيش أمير خان ست سنوات ، وواصل أعماله ووظائفه للإصلاح ، والتربية الروحانية ، بجانب اشتغاله بالأمور العسكرية ، والعبادة والمجاهدة ، وبفضل جهده ودعوته ، تحول الجيش إلى مجال واسع لأعمال الدعوة والإرشاد ، وتحسنت حالة الجنود ، وصلحت حياتهم إلى حد كبير ، وحدث انقلاب في حياة أمير خان نفسه .

العودة إلى « دلهي » ، وجولات الدعوة :

قضى السيد أحمد ست سنوات في هذا المعسكر ، وعند ما اضطر أمير خان لبعض الظروف ، ومنها خيانة عدد من أقرب رفقائه إلى التصالح مع الانجليز ، عارضه السيد أحمد معارضه شديدة ، ولكنه دخل في صفقة مع الانجليز رغم معارضته ، وقبل ولاية « تونك » فيئس منه السيد أحمد ورجع إلى « دلهي » .

التفت إليه الناس هذه المرة لدى وصوله إلى « دلهي » التفاتاً كبيراً غير عادي ، وبايعه خلال هذه الفترة اثنان من كبار علماء أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، وهما : الشيخ عبد الحي ، والشيخ محمد

www.abulhasanalinadwi.org

إسماعيل ، وكان لبيعتهما أثر عميق على سكان « دلهي » عامة ، فأقبل عليه العلماء والشيوخ ، وانضم إلى حلقته عدد لا يوجد له نظير، فكانت سمعته ، والإقبال عليه يزداد يوماً بعد يوم ، وبدأ جولات الدعوة ، فاختار أولاً مديرية « مظفر نگر » و « سهارنفور » الآهلة بالسكان ، والحافلة بالأماكن التاريخية ، وزار مراكز أشراف المسلمين ، و « جراه مكتيشر » ، و مناطق واقعـــــة بين النهرين : « جمنا » و « الكنج » و « رام پور » و « بريلي » و « شاه جهان پور » وهي مراكز الفروسية ، والحياة الإسلامية وأماكن أخرى ، وبايعه في هذه المناطق آلاف من الأسر والأفراد ، وتابوا عن الشرك والبدع ، وانضم إليه بالبيعة كبار العلماء والشيوخ ، وبايعه في « سهانپور » الشيخ عبد الرحيم ، وكان شيخاً مرموقاً له مركز كبير ، في تربية النفوس مع آلاف من مريدية ، ومتبعية ، فكانت الجولة هذه رحمة واسعة ، وفيضاً عاماً ، يخلّف الخصب واليمن ، كلما مر بواد أو سهل ، ويتفق من شهد زياراته على أن بضع ساعات قضاها في مكان غيرت الجو وعمرت المساجد ، وأحيت السنة ، ونضرت الحياة والإيمان ، وأعادت الشوق إلى اتباع السنة ، وجددت الحمية الإسلامية ، وأحدثت النفور والاشمئزاز من الشرك والبدع ، وقضت على رواسب الرفض والشيعية ، وكان الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحي يرافقانه في سائر هذه الجولات ، وكان لخطبهما تأثير عميق على القلوب فأحدثت انقلاباً ، وغيرت مجرى الحياة .

في الوطن :

عاد بعد هذه الجولات إلى وطنه « رائ بريلي » وكانت أيام جدب ،

www.abulhasanalinadwi.org

وجفاف شديد ، يعم الفقر والبؤس ، والمعاناة والجوع في كل مكان ، وكانت نفسه تأبي أن يأكل ويجوع جيرانه ، فتحمل بنفسه تغذية مائة شخص كل يوم ، ولم يشعر أحد أنه يتحمل هذه التكاليف لما ، كان يسوده جو التوكل والثقة بالله والسكينة ، وكان يرتاد إليه في ذلك الحين كبار علماء الهند ، والمشائخ ، والزهاد ، كل يغترف من منهله العذب ، ويقتبس من نوره ، رغم علو شأن كل منهم في علومه وفنونه واختصاصه ، وكان السيد يشارك الناس في همومهم وأفراحهم ، ويشترك معهم في أعمالهم ، ويخدم المعتر ، وذوي الحاجة ، فتحولت هذه القرية الصغيرة المنعزلة إلى مدرسة دينية ، ومركز للتربية الروحانية ، ومسرح للجهاد في آن واحد ، وكان ذلك العهد ، عهد ذوق وشوق ، وحلاوة واهتزاز النفس ، ونشوة روحانية ، ومجاهدة ورياضة ، وقام السيد خلال هذه الإقامة القصيرة بوطنه ، بجولات في مدن مهمة في الولايات الشمالية الغربية ، كـ « إلـه آبـاد » و « بنـارس » و « كانفور » و « سلطانپور » ، فكان يقابله الناس في كل مكان ينزل به ، جماعات ووحداناً ، ويدخلون في حلقته ويبايعونه .

جولة الدعوة والإصلاح في « لكناؤ » :

كان للأفغان مستعمرة في معسكر « لكناؤ » ، وكانوا من محبي السيد وشيوخه ، وقد بايع عدد كثير منهم مشايخ أسرته ، وأخصهم النواب فقير محمد خان قائد قواد الجيش في إمارة « أودهـ » فقامت على طلب منهم جماعة تتكون من ١٧٠/شخصاً بزيارة « لكناؤ » بغرض الإصلاح والدعوة إلى الخير ، ورافقه في هذه الرحلة الشيخ محمد إسماعيل ، والشيخ عبد الحي ، وكان العهد عهد حكم النواب

www.abulhasanalinadwi.org

غازي الدين حيدر ، وكان النواب معتمد الدولة آغامير وزيراً له ، وقد عمت في عهده حالة الفوضى ، وحب المال وسوء النظام ، والظلم العام ، وحياة الترف والتبذير ، واللهو والمجون ، والمزاح والهزل ، وعدم المبالاة ، ولكن سكان المدينة كانوا رغم هذه الظروف القاسية والعاتية ، ميالين إلى قبول الخير ، يرغبون في الصلاح ، والرشد ، يوقرون الدين ، ويعظمونه ، لكثرة العلماء والمشايخ ، ومراكزهم العامرة في « لكناؤ » حيث انتقل سعياً وراء الرزق ، والسعادة في الحياة ، وتقدير العلم ، نخبة من الأشراف ، من الأسر العالية من المناطق المجاورة ، فكان في خضم هذا البحر الهائل للإنسانية مئات من الدرر واللآلي ، التي كانت كأنها تنتظر من يعرف قدرها ومحلها .

فأقام السيد و رفقاؤه على شاطئ نهـــــر « الگومتي » على تل الشاه پير محمد ، ولم يكد ينتشر خبر وصوله إلا وتدفق الناس من كل مكان ، وتزاحموا عليه فما كانوا يبرحونه حتى المساء ، وقد أحدثت خطب الشيخ محمد إسماعيل ، والشيخ عبد الحي المؤثرة والمتواصلة حركة قوية في المدينة ، فتغيرت أحوال ألوف من الناس ، فكان الناس ينهضون من المجلس إليه للتوبة ، والإنابة إلى الله ، والبراءة من أعمالهم ، ويدخلون في دين الله أفواجاً ، وقد انتفعت « لكناؤ » وسكانها بقدوم السيد وجماعته المباركة ، خلال هذه المدة القصيرة ، انتفاعاً عظيماً ، واكتسبت الخير الكثير ، ولم تكن تخلو حلقة من حلقاته من العلماء والمشايخ ، الذين كانوا يحضرون للبيعة ، والتشرف به ، وكان الشيخان عبد الحي ومحمد إسماعيل يلقيان كل يوم الجمعة خطباً ، وبايع السيد عدة أسر وقبائل ، وتابت عن الشرك والبدع ، وأقيمت له ولائم كبيرة ، وظهرت في هذه الولائم كراماته التي حيرت

www.abulhasanalinadwi.org

أهل السنة ، و حتى الشيعة و غير المسلمين ، و رجال الحكم ، و أثرت فيهم ، فكسدت سوق الشرك والبدع ، وتاب المنغمسون في الجرائم والآثام ، وحياة المجون .

ولكن هذا الالتفاف العظيم ، والإقبال العام على السيد ، وخاصة توبة الناس عن الشيعية ، وكثرة دخول الناس في مذهب أهل السنة ، سبب قلق الحكومة ورجالها ، فلم يحتملوا ذلك ، فأبدوا أولاً عدم ارتياحهم بالكناية ، ولكن لم يلتفت إليهم السيد ورفقاؤه من العلماء ، فلم يكفوا عن عمل الدعوة إلى الدين الصحيح خوف لومة لائم ، وواصلوا مجهودهم بثبات وعزم وهمة .

عاد السيد بعد شهر إلى الوطن ، وشعر بعد عودته بأهمية الجهاد ، أكثر مما كان يشعر بها من قبل ، اشتد الحرص عليه لما علم الاضطهاد والظلم الذي كان يعاني منـــه المسلمون في « پنجـــاب » فأقلقته هذه الأنباء ، وأثارت فيه حميته وغيرته ، فكان لا يرى شاباً سليم الجسم ، وقوي البنية ، إلا ويقول : إنه يصلح لعملي ، فكان يتقلد السلاح أحياناً كثيرة ، لكي يعرف الآخرون أهمية الجهاد ، ويقيم تمرينات عسكرية ، ويمارس أعمال الرمية والفروسية بصورة منتظمة ، ويخصص لها أوقاتاً معينة .

الحـــــج :

كان الحج إلى بيت الله الحرام من الشعائر الإسلامية الأخرى ، التي كادت تكون مهجورة في ذلك العهد ، فتركه المسلمون إما عن تعمد لما كان يلتمس له العلماء من أعذار فقهية ، ومبررات أخرى ، وإما عن تهاون في تأدية هذه الفريضة العظيمة التي هي ركن من الأركان الخمسة

www.abulhasanalinadwi.org

التي بني عليها الإسلام . وقد أفتى بعض العلماء بسقوط فرضيته عن مسلمي الهند . فتصدى له السيد أحمد الشهيد . وصدع بفرضيته . ودعا إلى القيام به ولم يكتف بمجرد توجيه الدعوة إليه . بل استلزم اتخاذ خطوات عملية لإحيائه . فصمم على أن يؤدي الحج مصحوباً بجماعة كبيرة من العلماء والاشراف . وأرسل إلى جهات مختلفة رسائل تحث على الحج . وتؤكد أهميته . فأحدثت نيته للحج وإعلانه له . ومكاتباته في هذا الشأن . ودعوته العلنية له تحولاً ثورياً في الناس ؛ فتدفق الناس للحج من كل صوب إليه ليرافقوه في هذا السفر السعيد . وغادر وطنه في غرة شوال ٢/من يوليو ١٢٣٦هـ - ١٨٢١م بعد صلاة العيد السعيد برفقة ٤٠٠ عازم للحج .

توجه من « رائ بريلي » إلى « دلمئو » ومنها ركب مراكب شراعية إلى « كلكتا » . وكان الشيخ محمد إسماعيل والشيخ عبد الحي . وعلماء آخرون ممن تضمهم القافلة . يلقون خطباً لرد الشرك والبدع . فانكشفت الغلات عن القلوب . وصلحت المعتقدات والأعمال . وبايعه آلاف من الناس رجالاً ونساءً في « إله آباد » في الطريق . وقدر بعض الناس أنه لم يبق مسلم في بعض المناطق إلا وبايعه في هذا السفر . وكذلك حدث في « مرزاپور » حيث بايعه جميع سكان المدينة تقريباً . وبايع ألوف من الناس في « بنارس » ودخل العلماء والمشايخ في حلقته . وأصيبت البدع وأعمال الشرك بضربة قاسية . وصل إلى « پتنه » ومكث في « پتنه » أسبوعين . وقام خلال هذه المدة بأعمال التعليم الديني . والتوعية الإسلامية . ونشر تعاليم الإسلام . وإحياء السنة . وقمع البدع والشراك . بحماس بالغ . وبعث من « عظيم آباد » خلال إقامته بها عدداً من التبتيين إلى « التبت » لعمل الدعوة والإصلاح .

www.abulhasanalinadwi.org

وامتدت جهودهم إلى « الصين » و وصل بعد « عظيم آباد » إلى «كلكتا» وأقام هناك ثلاثة شهور ، وكان لاقامته بـ « كلكتا » أثر فعال في سكان « كلكتا » التي كانت كبرى مدن الهند ، وعاصمة للحكم الانجليزي ، فأحدث ثورة في الفكر ، وتحولاً في الحياة ، ورجوعاً إلى الدين ، فأعلن أعيان البلد وأشراف القبائل والأسر ، ورؤساء التنظيمات الاجتماعية في أسرهم وطوائفهم أنه من لم يدخل في بيعة السيد أحمد ، ولم يتمسك بأهداب الدين ، ولم يحتفظ بشروطه وحدوده ، تنقطع عنه العلاقات القائمة للاخوة ، وروابط الأسرة ، فاصطف آلاف من الناس تائبين ، وأقفرت حوانيت الخمر ، ومراكز اللهو و الخلاعة ، و دور التسلية و البغاء ، و استفاد أحفاد السلطان « تيپو » أيضاً ، الذين كانت بين آبائهم وآباء وشيوخ السيد أحمد صلات الاستفادة والإفادة ، والتربية الدينية ، وغادر « كلكتا » بعد ثلاثة أشهر ، جمّ غفير من المسلمين والمسيحيين والهنادك « لزيارة السيد ورفقائه » وازدحموا حتى لم يبق مجال للمرور ، كانوا يعرجون في الطـــريق على الموانئ ، و الأماكن الساحلية ، و يلقون الخطب والمواعظ ، ووصلوا إلى « جدة » في ٢٣/من شعبان يوم الأربعاء ، ١٢٣٧هـ ، المصادف ١٦/من مايو ١٨٢٢م ، ودخلوا المسجد الحرام في ٢٨/من شعبان .

استمرت افادته أثناء هذا السفر الميمون أيضاً ، فدخل في بيعته إمام الحرم ومفتي « مكة » وعلماء آخرون ، كما استفاد به كبار العلماء ، والاشراف ، والأعيان القادمون من الدول الإسلامية بهذه المناسبة ، وقضى شهر رمضان في مكة المكرمة وبايع رفقاؤه على الجهاد في أيام الحج في العقبة الأولى ، حيث بايع النبي ﷺ الجماعة الأولى من

www.abulhasanalinadwi.org

الأنصار. وكانت هي بداية للهجرة .

توجه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة . وأقام بها . وكان هناك أيضاً مرجع العلماء والأعيان والمشايخ . وعامة الناس وخاصتهم . ثم رجع إلى مكة المكرمة . وقضى شهر رمضان في السنة التالية أيضاً في مكة المكرمة . و أدى الحج ثانية . وعاد إلى وطنه بـ « رائ بريلي » في غرة رمضان ١٢٣٩هـ - ١٨٢٤م .

في الوطـــن :

أقام بوطنه « رائ بريلي » عاماً وعشرة شهور من أول رمضان ١٢٣٩هـ . المصادف ٣٠ من أبريل ١٨٢٤م . إلى ٧/جمادي الآخرة ١٢٤١هـ (١٧ يناير ١٨٢٦م) وكان ذلك آخر عهد له بوطنه في حياته . وكان من أهم أشغال هذه الأيام التي قضاها في وطنه . الترغيب في الجهاد . والدعوة إلى الدين . وتربية رفقائه الإيمانية والعملية . وانقضت هذه المدة في جو كانت تسوده العواطف الدينية . والأحاسيس والانفعالات الإيمانية . وترقيتها وتنشيطها . وإنعاش روح العمل من جهة . والمجاهدة . وترويض النفس . وقضاء حياة بسيطة عسكرية . وتعليم التواضع من جهة أخرى . وظلت قريته (دائرة الشاه علم الله) خلال هذه المدة بكاملها مركزاً للتربية العملية والروحانية .

الحاجة إلى الهجرة :

كان السيد أحمد ببصيرته . ونظره الثاقب . وإدراكه الديني الحاد ينظر بأم عينيه . ما كان يقاسيه الإسلام من جفوة . وغربة . وعجز علماء الدين . وأهل العلم . ومحنتهم في تأدية فرائضهم . كان يرى غلبة

www.abulhasanalinadwi.org

القوى المعـــادية للإسلام ، و حـــالـــة بؤس المسلمين ، و شقـائهم في « پنجاب » ، والاضطهاد المفرط ، والاستبداد الذي كانوا يلاقونه بأيدي السيخ ، فكانوا يقضون فيها حياة الذل والاستكانة .

وقد أصيبت الأمة بكاملها بعدم الثقة ، والشعور بالحرمان والذلة ، كانت تصادر ممتلكات المسلمين وعقارهم ، بأعذار بسيطة لا قيمة لها ، وأسس مزورة ، وحولت غرف المسجد الشاهي في « لاهور » المعروف بفن العمارة ، وأهميته التاريخية إلى اصطبل ، وفرض الحظر في أماكن متعددة على الأذان ، وحرمت عدة شعائر إسلامية ، فثارت في المسلمين بهذه الحياة الذليلة الوضيعة آثار القلق والتبرم ، وهاجت فيهم حميتهم الدينية والاضطراب النفسي الذي يغامره الشعور بالخيبة ، وكيف كان يمكن احتمال ذلة المسلمين واحتقارهم ، وتسلط قوة معادية للإسلام عرفت بحقدها للإسلام والمسلمين ، وإرصادها لهم في هذه المنطقة الواسعة الواقعة على الثغور ، التي كانت دائماً مركزاً لأجيال المسلمين الأكفاء للخدمة العسكرية .

كانت هذه الطغمة الحاكمة خطراً دائماً على مركز الهند بـ « دلهي » وسائر أجزاء الهند الشمالية الغربية ، ومناطق الثغور ، و « أفغانستان » على الأخص فأدرك السيد أحمد ورفقاؤه بنظرهم الثاقب ، وفراستهم البالغة هذه الأخطار الكامنة ، فمنح « البنجاب » الأولوية لأعماله ونشاطه الجهادي .

أقلقت السيد أحمد من جهة أخرى سلطة الانجليز النامية على الهند ، والحروب الأهلية القائمة بين المسلمين ، ومناظر انحطاط الإسلام ، وأثارت حفيظته ، وحميت بها حميته ، وغيرته الدينية ، وأدرك أن إعلاء كلمة الله ، وإنقاذ الدول الإسلامية وحمايتها تطالب كل

www.abulhasanalinadwi.org

مسلم غيور يشعر بالمسؤولية بالجهاد ؛ فكان يعتقد أن الجهاد من أهم شعب الدين ، وخطوة إكمالية لها ، وكان يعتبر الهجرة مقدمة للجهاد ، لأن الجهاد في تلك الظروف لم يكن ميسراً بدون الهجرة ؛ فأثارته الآيات الصريحة التي وردت في القرآن ، والأحاديث الواضحة على اتخاذ هذه الخطوة ، وكان الشوق إلى الحصول على رضا الله وحبه رائده ، فوطدت الحقائق والمشاعر التي كانت تتغلغل في أعماق قلبه وأغوار فكره ، العزم على الجهاد ، والخروج في سبيل الله .

كان السيد أحمد يهدف رئيسياً إلى تحرير الهند من حيث المجموع ، كما يتضح من رسائله العديدة التي بعث بها إلى ولاة الأمر ، والحكام في الولايات الهندية ، والأمراء وحكام الدول الأخرى خارج الهند ، ولكن « پنجاب » كانت تقتضي الأولوية والاسعاف العاجل نظراً لاستقرار حكومة « رنجيت سنگھ » فيها ، ورسوخها عملياً ، وتعرض المسلمين بسببها للظلم والاستبداد ، ثم ان المصالح العسكرية ، والوعي السياسي كان يقتضي أن تبدأ هذه الحركة من الثغور الغربية للهند ، باعتبارها مركزاً لقبائل الأفغان الأقوياء والبسلاء المتحمسين الغياري الذين كانت تقوم مع أفراد أسرهم وأقاربهم علاقات البيعة ، والاسترشاد مع السيد أحمد وكان كثيرون منهم يشتركون في جيشه ، وأكدوا أن هذه القبائل ستنصره ، وتساعده في نيل هذا المرام ، ثم ان المنطقة كانت متصلة بحزام للحكم الإسلامي الممتد إلى « تركيا » فكان السيد أحمد يعد نفسه وجماعته لهذا الهدف السامي منذ بداية حركته .

الهجـــرة :

ودع السيد وطنه « رائ بريلي » يوم الاثنين ، ٧ من جمادى الآخرة

www.abulhasanalinadwi.org

١٢٤١هـ - ١٧/يناير ١٨٢٦م . واجتاز للوصول إلى ثغور الهند الشمالية الغربية ولايات « مالوه » و « بلوخستان » و « أفغانستان » و صحراء ولاية الثغور . وسهولها . وجبالها . ومضايقها . وغاباتها . وأنهارها . ومستنقعات . كانت عسيرة العبور . فكانت في حد داتها نوعاً من الجهاد . فواجه في بعض الأماكن نقص الماء . وقلة التموينات الغذائية . ووعورة الطريق . وعسر المرور . وخطر النهاب وقطاع الطريق . وشدة الجوع والعطش . وغربة البلاد والأقوام . ولغات جديدة غير معروفة . و اختلاف الطباع بالاضافة إلى الشبهة . و المخاوف والريب . والتحقيق والتجسس . وكانت جماعته تتكون من أفراد يرجع أصلهم إلى « دلهي » و « أودهـ » ومنطقة النهرين . من أشراف وأعيان . وعلماء ومشايخ . ونخباء أسر غنية . وربائب النعيم . وأفراد أنهكتهم متاعب الحياة وضعف الصحة . ولكن كانت تنعشهم نشوة الجهاد . والشوق إلى الشهادة . وكان عددهم يبلغ ٦٠٠ شخص .

عرج السيد أحمد أولاً على « دلئو » ثم « فتح پور » فـ « باندہ » ثم « جالون » و « مالوه » و « گواليار » ، ثم توجه إلى « تونك » وفي كل مكان ومقام توقف السيد فيه قوبل بحفاوة بالغة . ورحب به المسلمون . وتشرفوا بالبيعة والإرشاد . وتشرف في « گواليار » أميرها على دعوة منه باللقاء . فقدم إليه الأمير هدية . ثم ذهب السيد أحمد إلى « تونك » فرحب به أمير « تونك » أمير خان (الذي كان قضى السيد أحمد في جيشه ست سنوات) ترحيباً حاراً وشايعه إلى مسافة بعيدة في رحلته التالية . ثم توجه من « تونك » إلى « أجمير » و « بـالي » ماراً بصحراء « مـاروار » العسيرة المـرور . ووصل إلى « حيدر آباد » بـ « السند » وبايعه في الطريق ألوف من الناس رجالاً

www.abulhasanalinadwi.org

ونساءً . وصاحبه عدد كبير من الناس . وكانت السند في ذلك العهد منطقة مستقلة بالسيادة تحكمها أسرة واحدة . وكان يسكنها مئات الألوف من المحاربين . والأبطال المدربين في فنون الحرب . وكان مع ذلك عدد كبير من المشايخ الذين كان أتباعهم منتشرين . في « السند » كلهـــــا . فرحب جميعهم بالسيد أحمد . و وعدوا له بكل مساندة ومساعدة . فقابله والي « حيدرآباد » مير محمد . والأشراف . والمشايخ الآخرون . بحفاوة بالغة . وأنزلوه منزل اكرام وشرف .

أقام بـ « حيدرآباد » مدة أسبوع . ثم ذهب إلى « بيركوت » وأقام فيها أسبوعين . ثم توجه إلى « شكار پور » . وقابل المشايخ وصلحاء « السند » .

ومن « شكار پور » توجه إلى « جهتر بهاك » و « دهادر » ماراً بأماكن مختلفة . قضى فيها بضعة أيام . ليدعو الناس إلى الجهاد . والخروج في سبيل الله . وفي جميع هذه الأماكن تشرف بزيارته والاستفادة منه عدد كبير من المشايخ والعلماء . ورجال الحكم . فاختار لهذه القافلة طريق مضيق « بولان » الضيق و الخطيـــر . و مضيق « بولان » هو نفق طويل في الجبل . فتحه الله تعالى بقدرته لأولى العزم من الفاتحين والمسافرين المخاطرين في هذه السلسلة الطويلة للجبـــال . التي تفصل بين « الهنـــد » و « أفغانستان » فوصل إلى « كوئته » ماراً بـ « بولان » . وأبدى أميرها حبه . وأكرمه . وبايعه العلماء .

في « أفغانستان » :

وصل إلى « قندهـــار » قادماً من « كوئتـــه » . و كان يحكم

www.abulhasanalinadwi.org

« أفغانستان » اخوة بارك زئي ، المعروفون بـ « درانيين » فكان يحكم « قندهار » پردل خان ، وكان والي « غزنين » مير محمد خان ، و « كابل » دوست محمد خان والسلطان محمد خان ، و « پشاور » يار محمد خان ، وكان بين هؤلآء الاخوة صراع شديد ، وتنافس في الملك ، وكانت بينهم شحناء وأحقاد وأضغان متأصلة ، فكانوا يخوضون معارك بينهم ، وتنشب حروب أهلية ، فكان من أهم أهداف السيد أحمد وثمار جهوده أن يجمع الاخوة المتحاربين بينهم ، على رصيف واحد ، ويوحد صفوفهم ويؤلف بينهم على كلة الإسلام ، والجهاد مع أعداء الإسلام .

ولما وصل إلى « قندهار » استقبله حاكم « قندهار » وخرج ألوف من العلماء ، وأعيان البلد راجلين لاستقباله ، وازدحمت الشوارع بالمرحبين بـــه ، و توقف المرور عليها بسببها ، و أقام أربعة أيام في « قندار » فكان كل شخص تواقاً إلى الجهاد معه ، وحريصاً على الخروج معه في سبيله ، وتوجه إلى « غزنين » من « قندهار » ، فرافقه أربعمائة تقريباً ، من العلماء والفضلاء ، وطلبة المدارس ، وشيوخ الزوايا ، في نشوة الجهاد ، و الحنين إلى الشهادة في سبيل الله ، فاختار منهم مائتين وسبعين شخصاً ، واستصحبهم ، وبعث عن طريق « غزنين » رسائل إلى مير محمد خان حاكم « غزنين » والسلطان محمد خان حاكم « كابل » وأخبرهم بقدومه ، وبين لهم أهدافه ، وأغراضه ، وأبدى رغبته في تعاونهم معه في هذا الغرض السامي ، فلما وصل إلى « غزنين » استقبله أعيان البلد ، ورجال العلم والفضل ، وعدد لا يحصى من الراكبين والراجلين خارج المدينة على مسافة ميلين ، ونصب خيمته بجوار ضريح السلطان محمود الغزنوي ،

www.abulhasanalinadwi.org

وبايعه في هذا المكان عدد كبير من الناس .

وأقام بغزنين يومين ، ثم ذهب إلى « كابل » فخرج كبار الأمراء والاشراف ، وألوف من الناس إلى خارج البلد لاستقباله ، فكان يتصاعد الغبار لازدحام الناس ، وأظلم الطريق ، وكان السلطان محمد خان والي « كابل » مع ثلاثة من اخوته ، وحرس يتكون من خمسين شخصاً ، ينتظر وصوله ، فاستقبله ، وقابله ، وأكرمه ، وأقام بـ « كابل » شهراً ونصف شهر ، فكانت أيام دعوة وإصلاح بين الناس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والاستعداد للجهاد ، وانتفع بصحبته عامة الناس وخاصتهم ، وانضموا إلى جماعة المجاهدين بتأثير رفقائه ، وأحوالهم وحنينهم للجهاد ، ومبادرتهم إلى الخير ، والشوق إلى الشهادة .

وحاول السيد أحمد بما كان في وسعه من مجهود للإصلاح بين اخوة بارك زئي ، ومدد إقامته لهذا الغرض ، ولكن مساعيه الطيبة لم تكلل كلياً بالنجاح ، فاضطر إلى مغادرته إلى « پشاور » وكان المسلمون في الطريق يستقبلونه بحماس ، وعواطف ودية مماثلة ، جربها أثناء السفر كله ، فمكث في « پشاور » ثلاثة أيام ، ثم أقام في « هشت نگر » بضعة أيام ، وأعد المسلمين للجهاد ، وتوجه إلى « نوشهره » حيث استهل مهمته الحبيبة وعبادته العظمى ، وهي الجهاد ، الذي كان لب تعاليمه ، وجوهر دعوته ، وخلاصة جهوده منذ سنوات ، وقطع من أجلها هذه المسافة الطويلة ، وتحمل من أجل هذه الصعاب التي تصرف همم أولى العزم .

حرب « أكوره » :

بعث من « نوشهره » رسائل إلى حكومة « لاهور » وجه فيها

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوة إلى الإسلام . وإلا إلى دفع الجزية . وطالب بالطاعة . وهدد بالحرب . إذا رفضت المطالبتان . وكتب في ختام رسالته : « إنكم لا تحبون الخمر مثلما نحب الشهادة » فلما بلغت حكومة « لاهور » رسالة السيد أحمد . بدأت استعدادات الحرب . وسرت نشوة الجهاد في المجاهدين . وحدث انتعاش وهزة . كأنه حان اليوم الذي كانوا يحلمون به . وكان الشوق إلى الشهادة يطير بهم ويهزهم . كانت جماعة السيد أحمد تتكون من سبعمائة جندي . بينما كان جيش الأعداء يضم سبعة آلاف جندي مسلح . وواجهت فئة قليلة جيشاً يساوي عشرة أضعافها يوم الأربعاء في ٢٠/جمادي الأولى ١٢٤٢هـ (٢٠ من ديسمبر ١٨٢٦م) لدى منتصف الليل . وقاتل المجاهدون بجراءة وشجاعة بالغة . وبدأ العدو ينسحب من المعركة منهزماً . ولم ينقض نصف الليل إلا وانسحب العدو . وخلت ساحة المعركة . فازداد المسلمون قوة بعد قوة . وارتفعت روحهم المعنوية . والتفت رؤساء مختلف القبائل . والعلماء . والاشراف إلى السيد أحمد للبيعة . وزادت ثقتهم به . فأصلح بين الرؤساء والشيوخ . وبايعه أيضاً قائد قلعة « هند » السردار خادي خان . وبناء على طلبه أقام السيد أحمد مع رفقائه في قلعته ثلاثة أشهر .

غارة « حضرو » والبيعة والامامة :

بعد النصر الذي تحقق في حرب « أكوره » طلب « الأفغان » من السيد أحمد بأن يبيت على « حضرو » التي كانت سوقاً كبيرة خاضعة لحكم السيخ . فأذن له السيد أحمد . و لكنه لم يشترك في الغـــارة بنفسه . و قـــد اعتدى في هذه الغارة الليلية الجنود المحليون . والأفغان . وخرقوا القوانين . فلم يتمسكوا بأوامر السيد أحمد

www.abulhasanalinadwi.org

وتعاليمه ، وقاموا بكل ما حلا لهم من عمل ؛ فاتخذ العلماء في الجيش قراراً بالاجماع أن أهم أمر ، وأرجحه اختيار إمام وأمير للقيام بالجهاد في ظله ، وحسب توجيهاته .

فبويع السيد أحمد بالامامة والخلافة بالإجماع في « هند » في ١٢ من جمادى الآخرة ١٢٤٢هـ (١٢/يناير ١٨٢٧م) وبايعه خادي خان ، وأشرف خان ، وفتح خان ، وبهرام خان ، وجميع القواد والرؤساء علاوة على عدد كبير من العلماء من الهند الذين كانوا معه ، فقبلوه إماماً لهم ، وأرسل السيد أحمد رسائل إلى سائر ولاة الأمر في البلاد ، والعلماء ، والمشايخ ، والرؤساء ، يدعوهم فيها إلى البيعة ، ويفيدهم علماً بها ، فلما سمع السردار يار محمد خان « والسلطان محمد خان » من ولاة « پشاور » شعبيته والإقبال عليه ، وربانيته ، قدموا إليه بجماعة كبيرة ، وبايعوه ، ونفذ السيد أحمد بعد انتخابه أميراً النظام الشرعي الإسلامي في سائر المنطقة ، وطبق سائر قوانين الإسلام ، فبدأت المحاكم تسوي سائر الأمور والقضايا في ضوء السنة ، وكان من أثر المحاسبة أن خلت البلاد كلها من تاركي الصلاة .

حرب « شيدو » والتسميم :

أصبحت المنطقة بعد إمامة السيد أحمد وخلافته بلداً متحداً ، ولما انتهت السيادات الاقليمية والحكم الذاتي ، والاقطاعية لقادة ورؤساء قبائل مختلفة صغيرة وكبيرة بتوحيد البلاد ، دبت في قلوبهم المخاوف والاحقاد ، والحسد ، و إن كانوا يبدون انقيادهم وخضوعهم لحكم السيد أحمد ، وبايعوه بجراء التيار الجديد للطاعة والانقياد والحب السائد ، لكنهم كانوا يكنون في قلوبهم نوايا شريرة ،

www.abulhasanalinadwi.org

يحيكون له المكائد والدسائس . فبدأوا يتآمرون سرياً مع بلاط « لاهور » .

أبدى هؤلآء السادة والقادة . الذين كانت أفواههم مع السيد أحمد . وأفئدتهم مع بلاط « لاهور » بعد اشتباكات عديدة . ومناوشات مع السيخ . رغبة أن تقوم حرب حاسمة ومدمرة ضد السيخ . لتسوية المسألة كلياً . فاختبر بإشارة من هؤلآء السادة ميدان « شيدو » وبدأت الاستعدادات للحرب . إذ دس هؤلآء المنافقون السم في طعام السيد أحمد ليلة . وكان جيش المسلمين عندئذ يتكون من المحليين وغير المحليين . وكان جميع الرؤساء والقادة مع جنودهم وكتيبتهم . وكانت كفة الحرب ترجح في صالح المسلمين . وإذا بقادة « پشاور » ينحازون إلى السيخ . وفر السلطان يار محمد خان مع رفقائه من ميدان الحرب . فلم يعد السيد أحمد بعد هذه الحرب يواجه السيخ فحسب . بل كان ضده قادة ورؤساء « پشاور » أيضاً . و « الخوارج » . ثم وقف جيش مسلح كامل للمنافقين ضد السيد أحمد .

في « بنجتسار » :

وفي الوضع الجديد الذي حدث إثر هذه التطورات انتقل السيد أحمد على طلب من فتح خان والي « بنجتار » من « هند » إلى « بنجتار » وجعلها مقراً له . وتقع « بنجتار » بالقرب من « سوات » في وسط الجبال . وهي منطقة محمية . وظلت « بنجتار » إلى مدة طويلة مقراً للمجاهدين . وتشرفت أن تكون ثكنة إسلامية . ومركزاً للإصلاح . والتربية الدينية . فكانت هذه الهضبة الصغيرة ثكنة عامرة للمجاهدين كانت كل ناحية منها آهلة بالمجاهدين والعباد . تذخر بالذكر و التلاوة

www.abulhasanalinadwi.org

والجهاد والمجاهدات . والحب والأخوة . والخدمة والإيثار .

لم تكن إقامة السيد بـ « بنجتار » وعمرانها مما يسوغ والي « هند » وثار في قلبه الحسد . وحقد على السيد أحمد . فدبر للاساءة إليه . وعلى الجهة الأخرى . لم تؤثر الهزيمة المفاجئة التي لقيها السيد أحمد في « شيدو » أي فتور في همة السيد أحمد . أو عدول عن دعوته . وجهاده . فقام بجولة في « بنير » و « سوات » ثم « هزاره » وكانت هذه الجولة ناجحة للغاية في الدعوة . والنفع الديني . والإرشاد . والجهاد . والدعوة إليه وتوجه من « بنجتار » إلى « خهر » وهي مركز لـ « سوات » وأقام بها عاماً كاملاً . وفي هذا المكان توفي الشيخ عبد الحي . وكان شيخ الإسلام في جيش السيد أحمد . وكان يحترمه السيد أحمد غاية الاحترام .

مواجهة القائد الفرنسي لرنجيت سنگھ :

أغار وينتورا القائد الفرنسي في جيش رنجيت سنگھ على المجاهدين بجيش مكون من أكثر من عشرة آلاف جندي . وساعده فيه خادي خان والي « هند » ولكن الجنرال وينتورا انهزم . وانسحب لما عاين الشوق إلى الشهادة . والحماس للجهاد في المجاهدين . ورجع إلى « لاهـــور » ثم زحف جيشه من جـديـد بعد عدة شهور . وتوجه إلى « سمة » واستقبله خادي خان . وساعده سرياً . فلما علم السيد أحمد بقدوم جيش وينتورا . أخبر به رفقاءه . وبعث برسائل . ثم شيد جداراً دفاعياً . وبايعه المجاهدون بيعة الموت . وشاهد وينتورا أن المجاهدين منتشرون على هضبات الجبال . والممرات الجبلية . ومضايقها . فرجع خوفاً ورعباً . وقذف الله في القلوب الخوف . ورعب

www.abulhasanalinadwi.org

المجاهدين ، وذاع صيتهم في سائر الضواحي ، وبدأ الناس يتدفقون إليه ، ويبايعونه ، فقام السيد أحمد بجولات في القرى والمدن ، وشدد النظام الشرعي للحكم ، ولكن خادي خان ظل على مكيدته وحقده ، ومؤامرته مع الأعداء ، رغم جميع وسائل الإفهام ، والشرح ، والإقناع ، التي اتخذت لترضيته ، فلم يبق أمام السيد السيد أحمد بديل إلا أن يغير على قلعة « هند » ويفتحها ، وقتل خادي خان في هذه الغارة .

حرب « زيده » ومقتل يار محمد خان :

انحاز أمير خان الأخ الأكبر لخادي خان ، إلى السردار يار محمد خان الذي كان قد دس السم في طعام السيد أحمد في حرب « شيدو » وتآمر معه ، وأجرى السيد أحمد محادثات معه ، ليمنعه عن الفرقة ، والاضطراب والفساد ، والفتنة ، لكنه شد حرباً ضد المجاهدين في منطقة « زيده » ولم يقبل نصحه ، فواجه المجاهدون هذا التحدي بثبات وحزم وقوة ، وحصدوا الجيش الدراني ، واستولوا على مدافعه ، فلاذ الجنود كلهم إلى الفرار ، وقتل يار محمد خان ، وهاجم الدرانيون على قلعة « هند » التي كان المجاهدون يحتلونها ، ولم يكن عدد المجاهدين يزيد عن ستين ، ولكنهم قاوموا هذه الغارة بثبات ومثابرة ، وخيبوها .

أشيع في هذه الفترة أن المجاهدين يعتزمون الهجوم على « پشاور » التي كانت تحت سلطة الدرانيين ، فانحرف الدرانيون عن « هند » والتفتوا إلى « پشاور » وفي نفس الأثناء احتل المجاهدون « عشره » و « أمب » .

كان يريد السيد أحمد أن يتوجه إلى « كشمير » وكان يقتضي ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

احتلال « پهولره » فوجه جماعة من المجاهدين بقيادة ابن أخته السيد على وهجم السيخ على هذه الجماعة بغتة ، فاستشهد عدد كبير من المجاهدين نتيجة لهذه الغارة المباغتة ، واستشهد السيد أحمد على نفسه في هذه المعركة .

حرب « مايار » :

أقام السيد أحمد بـ « أمب » و نفـــذ نظام القضاء و الاصلاح الاجتماعي ، والخلقي ، فعزم السلطان محمد خان على أن يخوض معركة حاسمة ، فقاد جيشاً عظيماً ، للدرانيين ، ومر بـ « جمكني » ووصل إلى « حارسده » فتصدى له السيد أحمد مع رفقائه ، ونصب خيمته في « تورو » وحاول أن يمنع شيوخ « پشاور » عن الصراع الذاتي والحرب الأهلية ، لكنهم لم يقدروا هذه العاطفة ، والمساعي الجميلة ، فحلف السلطان محمد خان ، وأبناء أخيه وأخوه حاملين المصحف بأيديهم فمر الجيش بكامله من الباب الذي كان قد علق عليه المصحف ، فنشب قتال عنيف بين « تورو » و « هوتي » في ميدان « مايار » واستولى الشيخ محمد إسماعيل والشيخ ولي محمد على المدافع ، فانهزم الدرانيون ، وتراجعوا وانتصر المجاهدون ، وقد سجل المجاهدون في هذه المعركة آيات من البطولة ، والثبات ، والجراءة ، وقوة الإيمان ، والانقياد والطاعة ، والشوق إلى الآخرة ، وشوهدت مناظر لنصرة الله ، جددت ذكريات القرن الأول .

فتح « پشاور » وتسليمها :

عمد السيد أحمد بعد النصر في حرب « مايار » إلى « پشاور » التي

www.abulhasanalinadwi.org

كانت نانية أهم المدن في الشمال الغربي بعد « لاهور » و « كابل » وكانت عاصمة لولاية الثغور ، ومركزها منذ القديم ، وقد اقتضت الظروف الآن أن يتولى المجاهدون نظام هذه المنطقة وإدارتها مباشرة ، فلما رأي سلطان محمد خان أن المجاهدين ينوون الاستيلاء على « پشاور » فخرج مع أفراد أسرته ورفقائه من « پشاور » ، وبدأ من هناك التراسل مع السيد أحمد ، فلما دخل السيد أحمد في « پشاور » استقبله سكانها ، وابدوا سرورهم بقدومه ، ورحبوا به ، وأقاموا سقايات في الطريق ، وأضاؤوا المصابيح والقناديل ابتهاجاً بقدومه واحتفالاً به وأظهر الجيش اقتداء بالجيوش الإسلامية في القرون الأولى ، السيرة الإسلامية ، و التربية الدينية ، و مشاهد التقوى والورع ، والزهد في الحياة ، والأمانة ، وعرض السلطان محمد خان الصلح ، وعاهد على الطاعة ووعد حلفاً شرعياً ، أنه إذا أعيدت « پشاور » إليه فإنه سينفذ النظام الشرعي ، ويحول هذه البلاد إلى حكومة إسلامية ، ولم يكن لدى السيد أحمد أي مانع في قبول هذا العرض ، لأنه لم يكن يطمع في الحكم ، أو القوة ، وإنما كان حريصاً على إقرار نظام إسلامي ، وتنفيذ حكم شرعي ، وكان ذلك هو الهدف الوحيد لهجرته لوطنه ، ووصوله إلى هذه المنطقة النائية ، ولم يكن لذلك يؤثر نفسه على أحد ، فقبل عرضه ، وأتاح له فرصة أخرى ، فأعيدت « پشاور » إلى سلطان محمد خان ، وعاد هو نفسه من « پشاور » إلى « بنجتار » .

اغتيال العمال والقضاة :

كان إقرار النظام الشرعي ، وتعيين العمال ومحصلي الصدقة ،

www.abulhasanalinadwi.org

وتنفيذ الأحكام الشرعية عقبة في سبيل رؤساء القبائل ، وخاصة سلطان محمد خان ، وعلماء السوء المغرضين ، فلم تبق لهم فرصة لاستغلال الناس ، وتحقيق أغراضهم ، ومصالحهم المادية ، فعزموا على إزالة هذه العقبة من طريقهم ، والتخلص من هذه القيود .

ولم ينقض على تسلم « پشاور » إلا مدة يسيرة إلا ودبر السلطان محمد خان مؤامرة لتضليل الناس ، وتشويه سمعة المجاهدين في عامة الناس وخاصتهم ، ولتحقيق هذا الغرض أعدوا بياناً وقع عليه علماء السوء ، أن السيد أحمد والمجاهدين فرقة ضالة ذات معتقدات وأفكار فاسدة ، ثم أعدوا خطة لاغتيال العمال ، والقضاة ، والآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والغزاة ، ورجال الحكومة الشرعية الذين كان السيد أحمد قد عينهم في سائر منطقة « پشاور » و « سمه » سوى «بنجتار» في آن واحد ، وتمت هذه الخطة الخبيثة باغتيالهم فجأة بدون رأفة ، وبوحشية ، فقتل أحد أثناء الصلاة ، وآخر أثناء لجوئه بالمسجد ، ومنهم من قتل محارباً ، ولم يقبلوا في ذلك شفاعة أحد من العلماء والسادة ، وحتى النساء وغير المسلين للرحمة ، فذبحوهم ذبح النعاج .

كانت هذه مأساة إنسانية ، منقطعة النظير ، وخسارة نخبة مختارة نشأت بعد عشرات السنين من التربية و التعليم ، و التثقيف الطويل ، خلاصة بشرية نقية ، تعلق بها الآمال ، وجوهر الهند ، ولبها يفنى في لمح من البصر .

الهجرة الثانية :

تحطم قلب السيد أحمد بهذه المجزرة الوحشية التي تعرض لها

www.abulhasanalinadwi.org

رفقاؤه ، وخيرة عماله ، وقد أقلقه جفاء المحليين ، ونكران الجميل ، والظلم والوحشية التي أبدوها ، فقرر الهجرة من هذا المكان ولاستشارة رفقائه جمع العلماء والسادة في « بنجتار » ، وأجرى تحقيقاً للمأساة ، وذكر لهم أهداف قدومه ، ومجهوداته ، فلما تأكد أن رفقاءه كانوا أبرياء من هذه الجريمة ، وأن السكان المحليين هم الذين لا يصفو ودهم ، ولا تؤمن نواياهم ، فعزم على الرحيل ، فلما انتشر خبر هجرته ، قلق له العلماء والسادة المحليون ، وجماعة من المخلصين والرؤساء المتبعين الذين كانوا في « بنجتار » ، وحزنوا كثيراً ، وتدفق الناس على السيد أحمد ليطلبوا منه إعادة النظر في قراره ، وأن لا يهاجر ، لكنه لم يقبل طلبهم ، لأنه كان يدري أن لفتح خان ورجال قبيلته يداً في خطة سلطان محمد خان ، واغتيال العمال والقضاة ، وأنه لم يقدم بنفسه أي طلب بإقامته في هذه المنطقة ، بل إنه أيد هذا القرار سرياً. ولكن السيد أحمد لم ينتقم منه ، بل عفا عنه وأعرض ، وعامله معاملة الامتنان ، والاعتراف بالجميل ، وأنعم عليه بالهدايا ، ولم يتزحزح في إرادته للهجرة ، فسلم « بنجتار » إلى فتح خان ، وأقام بـ « راج دواري » وجاء إليه في « سمه » في الطريق (حيث قتل القضاة ، و الغزاة ، و المخلصون) رجال يلتمسون منه العودة ، لكنه قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

إلى « كشمير » :

اختار السيد الآن منطقة « كشمير » لمواصلة أعماله ، وحركاته الدعوية والجهادية ، وتوجه إلى « كشمير » مع ما تبقي من الثروة البشرية معه ، والمخلصين من الرفقاء ، الذين عزموا على أن يرافقوه

www.abulhasanalinadwi.org

في ساعة العسرة ، وفي حالة مريبة عسيرة ، فلم يقبلوا أن يتركوه في أي حال ، توجه إلى « كشمير » وهي واد واسع آمن ، يتمتع بتحصنات طبيعة هائلة ، تستطيع أن تستغلها قيادة واعية ، ذات بصيرة لأغراضها ، وتستطيع كذلك أن تؤثر منها على الهند من جهة ، ومن جهة أخرى يمكن بها إنشاء علاقات وروابط مع تلك الدول الإسلامية في آسيا الوسطى من الناحية العسكرية ، والسلالية ، والتي أنشأت في الماضي حكومات إسلامية قوية ذات شأن .

في « بالا كوت » :

كانت إمارة رؤساء « بكهلي » و « وادي كاغان » ورجال المنطقة الآخرين ، تتزحزح ، وتتأرجح ، إما بسبب هجمات السيخ ، وإما بسبب الصراع الداخلي ، والاضطراب الذاتي ؛ فكانوا .... جميعاً يستنجدون السيد أحمد ، وكانت إمارتهم تقع في الطريق إلى « كشمير » التي كان السيد أحمد ينوي جعلها مركزاً له ، وكانت هي هدف هجرته الثانية ، ووجهته ، فكانت « بالاكوت » أنسب محل لخدمة جميع هذه الأغراض من مساعدة من يطلب النجدة ، وحمايتهم ، والدعم العسكري ، والتقدم إلى « كشمير »والاستعداد له ، وكانت « بالاكوت » تقع على الناحية الجنوبية لـ « وادي كاغان » وقد صد هذا الوادي في هذا المحل جدار جبلي ، فليس هناك طريق سوى منفذ نهر « كنهار » ويقع الوادي بين جدارين جبليين متوازيين ، يبلغ عرضه أقل من نصف ميل ، ويجري في هذا المكان نهر «كنهار» ويقع في شرق « بالاكوت » تل «كالوخان » العالي ، وفي غربها يقع تل « مني كوت » .

كانت هذه الرحلة الثانية للهجرة كذلك شاقة ومتعبة ، ومليئة

www.abulhasanalinadwi.org

بالخطر ، وكانت قمم الجبال ، والاودية مغطاة بالجليد من كل جانب ، والطرق وعرة معقدة ، ذات مرتفعات ومنحدرات ، لا يوجد فيها أي سبيل لإرسال المؤن والحمل ، فلم يكن هذا السفر إلا عبارة عن مغامرة عسيرة تدل على علو همته ، وقوة ثباته وعزمه ، ومثابرة رفقائه ، وقوتهم الإيمانية وصبرهم وأناتهم ، وتحمل كل مكروه في سبيل تحقيق هدفهم ، فوصل السيد أحمد إلى « سجون » قادماً من «بنجتار» عابراً عدة أماكن شاقة ثم توجه منها إلى « بالا كوت » وغادر « سجون » في ٥ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (١٧ من أبريل ١٨٣١م) ودخل في « بالا كوت » .

الحرب الأخيرة والشهادة :

لما علم الأمير « شير سنگھ » الذي عهد إليه والده مهاراجه « رنجيت سنگھ » بأن يحارب المجاهدين حرباً نهائية حاسمة ، أن السيد أحمد و غزاته يقيمون في « بالاكوت » فقاد جيشاً ضخماً للسيخ ، وعسكر على بعد ثلاثة أميال تقريباً من « بالا كوت » على الشاطئ الشرقي لنهر « كنهار » و بدأ هذا الجيش تدريجياً يدنو من « بالاكوت » .

فلما اتضح أن جيش السيخ سيهاجم « بالاكوت » نازلاً عن « مني كوت » اتخذت اجراءات مؤثرة وحاسمة لخوض المعركة المصيرية ، وكان موقع البلد ، ووضع ساحة القتال الطبيعي يلائمان المجاهدين .

كان الموقع الجغرافي لـ « بالاكوت » مخيباً لشير سنگھ : فأراد شير سنگھ أن يعود يائساً خائباً ، لكن السكان المحليين أرشدوه الطريق الجبلي الذي يؤدي إلى وادي « بالاكوت » الذي يقيم به السيد

www.abulhasanalinadwi.org

أحمد ورفقاؤه فوصل جيش شير سنگھ إلى « مني كوت » في ٢٤ من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (٦/مايو ١٨٢١م) وأحاط بها من كل مكان كالسحاب ، وهاجم جيش شير سنگھ الغزاة نازلاً من « مني كوت » وكان السيد أحمد يتقدم رفقاءه والمجاهدون يتبعونه ، يمطر عليهم السيخ وابلا من الرصاص ، فكبر السيد أحمد ، وتقدم نحو الأعداء ، فكان يمشي إليهم مشية الليث يهاجمهم كالضرغام على فريسته ، وكان حجر ضخم بارزاً في حقل يرتفع طوله ٢٥ أو ٣٠ قدماً فجعله سداً بينه وبين أعدائه ، وموقعاً لشن الغارات عليهم ، فكان يوجه منه إليهم الطلقات النارية ، فأصابت عدداً لا يحصى من الأعداء ، وقضت عليهم ، وأحدث ذلك ضجة في صفوف الأعداء ، أجبرتهم على التراجع ، فبدأ العدو ينسحب ، ويحل التلاع والجبال مخافة ، وطاردهم المجاهدون إلى مخارم الجبل وجروهم بأقدامهم ، وقتلوهم بسيوفهم .

في هذا الصخب واللجب ، اختفى السيد أحمد ، وأيقن المجاهدون أنه لقي ربه شهيداً ، فجعلوا يبحثون عنه ، وفي نفس الأثناء أصيب الشيخ محمد إسماعيل برصاصة في رأسه فقضى نحبه ، واستشهد ، وأدرك الأعداء أن المجاهدين قد زحزحوا وفقدوا أعصابهم بشهادة قادتهم ، فشنوا هجوماً جديداً عليهم ، وصوبوا إليهم بنادقهم ، وواصلوا قصفهم بالنار ، فسقط كثير من المجاهدين شهداء ، وانقلب ظهر المجن ، ورجحت كفة ميزان الحرب في صالحهم ، وسقى الله كبار العلماء والمشايخ ، المجاهدين كأس الشهادة ، فصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقضوا نحبهم ، وبذلوا أرواحهم في سبيله ، وسجلوا أروع أمثال البطولة والفداء ، وما بدلوا تبديلاً ، وقد استشهد في هذه التربة أكثر من ثلاثمائة مجاهد .

www.abulhasanalinadwi.org

انتهى في هذه القطعة من أرض « بالاكوت » سفر تلك القافلة المباركة التي بدأ رحلتها السيد أحمد في ٧/جمادي الآخرة ١٢٤١هـ (١٧/يناير ١٨٢٦م) صباحاً ، مع رفقائه من الغزاة المجاهدين من وطنه « رائ بريلي » فوصلت إلى غايتها النهائية في ٢٤/من ذي القعدة ١٢٤٦هـ (٦/مايو ١٨٣١م) وضحى للوصول إليه بشعبيته ، والإقبال عليه ، ورجوع الناس إليه ، وحبهم له ، قطع في سبيلها الصحارى ، والأودية ، وعبر الأنهر ، وتسلق الجبال ، وقطع الغابات ، والأوغال ، وقاسي جفاء الدرانيين ، و فتورهم ، و نفورهم ، و واجه الغدر والخيانة ، و الطغيان ، و العصيان ، و في هذه المعركة التي جرت في « بالاكوت » شرب السيد أحمد ، والشيخ محمد إسماعيل كأس الشهادة مع عدد كبير من أولئك الصالحين والأتقياء ، الذين كانت قلوبهم تتدفق بمحبة الله ، وتتوقد فيها جذوة الإيمان ، والشوق إلى الشهادة ، التي جعلت لهم أنفسهم وأموالهم هباء منثوراً ، ورؤسهم وجلودهم عبأ عليهم .

.....

www.abulhasanalinadwi.org

شهداء بالاكوت يتكلمون (١) !

لسماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

ونعود إلى حديث بالاكوت فنقول :

لقد استشهد في معركة بالاكوت نفوس أبية زكية . كانت زينة الدنيا . وبركة الوجود . ومفخرة الإسلام . وشرف المسلمين . إن الرجولة والشهامة . والصدق والأمانة . والعفة والنزاهة . والورع والتقوى . والتمسك بالسنة . واتباع الشرع . والحمية الدينية . والبطولة الإسلامية التي كانت عصارة أزهار و ورود كثيرة . بل حدائق منوعة . وجنات مختلفة من هذه البلاد المترامية الأطراف الواسعة الأرجاء . وكانت تستطيع أن تصنع للمسلمين تاريخاً جديداً وتفتح لهم عهداً زاهراً سعيداً . وقد تعطر الدنيا كلها بشذاها إذا قدر لها البقاء بعض الوقت . إنما أريقت على الأرض وضاعت في تراب «بالاكوت» في اليوم الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٤٦هـ وصار قيام الدولة الشرعية والحكم الإسلامي على منهاج النبوة والخلافة الراشدة حلماً بعيد المنال . أو ضرباً من الوهم والخيال .

---

(١) فصل من فصول كتاب « سيرة سيد أحمد شهيد » ج/٢ . نقله إلى العربية بطلب من المؤلف ابن أخيه الأستاذ محمد الحسني رحمه الله . ونشر مجلة « البعث الإسلامي » .

www.abulhasanalinadwi.org

إن أرض « بالاكوت » رويت بدماء طاهرة نقية لم يتلوث بالدنيا وأوضارها واعتزت وتجملت بشهداء لم نجد لهم نظيراً في القرون المتأخرة ، في الاخلاص والربانية ، والهمة والشهامة ، والبطولة والاستقامة ، والشجاعة والبسالة ، وفي عاطفة الجهاد ، وحب الشهادة ، إن من يطأ اليوم هذه المنطقة الجبلية الوعرة بأقدامه ، ويقطع هذه الوهاد والأنجاد لحاجة من حوائجه ، وغرض من أغراضه ، لا يستطيع أن يتصور ما ضم هذا الوادي في أحشائه من كنز ثمين من المحبين والشهداء ، وما أخفى بين جوانحه ، من ثروة غالية من إعلاء كلمة الله ومن الحب الخالص في سبيل الله .

لقد عاهدوا الله على أنهم سيجاهدون إلى آخر أنفاسهم ولحظات حياتهم ، لأعلاء كلمته وإظهار دينه ، ورفع رآيته ، وتنفيذ شريعته ونشر هديه ونوره ولو كره المشركون ، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وظلوا يجاهدون بكل نشاط وحماس وشوق ، لا يثني همتهم شئ حتى لفظوا نفسهم الأخير ووقعوا على وثيقة الحب والفداء بدمائهم السخية النقية ، ويا له من توقيع ، ولعل ليلة الخامس والعشرين من ذي القعدة كانت الليلة الأولى التي ناموا فيها نومة هادئة ، وقد تحرروا من أثقال رؤوسهم ، وأغلال أجسادهم ، ويا له من تحرر !

إنهم رجعوا بعد أن حملوا أو سمة الشهادة على صدورهم إلى ربهم الكريم الذي لا يبالي بتحقيق الأماني وبلوغ الأهداف ، ونتائج الكفاح ، ولا يعاتب على الهزيمة والانكسار ، ولا يحاسب على الاخفاق في إنشاء دولة وإقامة حكم ووضع نظام وتحرير بلاد ، إنه ينظر فقط إلى شيئين اثنين .

الصدق والاخلاص ، واستخدام الوسائل وبذل المجهود .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تحقق أن شهداء « بالاكوت » لم يدخروا وسعاً في بذل أنفسهم وأموالهم واستخدام وسائلهم ومواهبهم ، مخلصين صادقين ، حتى نالوا شرف الدنيا والدين ، وحظوا بالقبول عند الله وعند المسلمين .

إن تلك الدماء التي غابت في تراب « بالاكوت » بمرأي من الجميع فلم يبق منها عين ولا أثر ، تلك الدماء التي لم تنجب دولة ولم تنشئ أمة ، ولم تحقق حلماً ، أكبر وزناً وأكثر قيمة وأرفع منزلة في ميزان العدل الإلهي من دول كبيرة وقوية ، وامبراطوريات ضخمة ، إن هؤلاء المجاهدين الفقراء الغرباء الذين ضحوا بأرواحهم في غير مواطنهم وبلادهم ، وما وجدوا ميرة ولا مدداً (١) ، أشرف عند الله وأكرم عليه من أباطرة وملوك مستكبرين ، حكموا امبراطوريات وأنشأوا حكومات ، والذين قال الله عنهم : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسندة ﴾ (٢) .

مما لا شك فيه أن دماء شهداء « بالاكوت » لم تحدث تغييراً في خريطة العالم السياسية والجغرافية وإن هذا الخط الدقيق من الدم الذي فاض في زاوية صغيرة من الأرض لم يجد مكاناً في الأطلس (٣) الطبيعي ولا في التاريخ السياسي ، ولكن من يدري ما هي مكانتها في سجل القضاء والقدر ، وما هي حرمتها عند المليك المقتدر ؟ وكم غسلت من وصمات عار ، ولوثات إدبار ، عن طالع المسلمين ، وكانت سبباً في إجراء أحكام ومحو أخرى عند الله ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده

---

(١) المدد ، الغوث وما يمد به الجيش .

(٢) سورة المنافقون ، الآية : ٤ .

(٣) الاطلس ، مجموعة خرائط جغرافية مجلدة ، والكلمة من الدخيل .

www.abulhasanalinadwi.org

أم الكتاب ﴾ (١) . فليس من المستغرب إذا هي آذنت لدولة قوية عتيدة بالأفول والزوال ، وقضت لشعب متأخر فقير بالانتصار والازدهار ، فطلع بها نجم ، وأفل بها نجم ، وليس ببعيد إذا هي حولت المستحيلات ، وكذبت القياسات والتخمينات ، إن كل ذلك في علم الله ، وليس بمقدور بشر أن يستعرض آثار هذه الدماء في مسيرة الزمن بمجرد العقل والذكاء .

إن كل شهيد من شهداء « بالاكوت » ينطق ويقول : ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ (٢) إنهم يقولون بلسان حالهم ، إننا جاهدنا ليجد المسلمون فرصة طيبة وجواً صالحاً يقيمون فيه شعائر الله ويمثلون فيه الحياة الإسلامية أصدق تمثيل ، ويتمكنون من تحكيم شرعه واجراء أحكامه وحدوده على عباده وفي بلاده ، ويقدمون نموذجاً مثالياً حياً للمجتمع الإسلامي ، يكسبون به للإسلام أعواناً وأنصاراً ، ويقيمون به على صلاحيته وخلوده دليلاً وبرهاناً ، مجتمع إسلامي حر لا تسيطر عليه النفس ، ولا يقوده الشيطان ، ولا يستبد به حاكم أو سلطان ، ولا تتحكم فيه التقاليد والعادات الجاهلية ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ (٣) ، مجتمع يفتح أبوابه على مصاريعها (٤) للطاعة والعبادة ، والبر والتقوى ، ويسدها على الفسق و الفجور ، و المعصية و العدوان ، تطبيقاً للآية : ﴿ الذين إن

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٢٧ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٣٩ .

(٤) مصراع الباب ، احد غلفيه يقال فتح الباب على مصراعيه يعني فتحاً كاملاً .

www.abulhasanalinadwi.org

مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » (١) .

لقد قدر الله لنا الشهادة في سبيله والفوز بمرضاته مقابل تحقيق هذه الأمنية الغالية والفوز والنجاح في الدنيا . ونحن بقضاء الله راضون . وبحكمه مرتاحون . وبنعمته فرحون . فإذا قدر الله لكم فرصة لإعادة الحياة الإسلامية وإقامة المجتمع الإسلامي في أي دور من أدوار التاريخ . ووجدتم جواً حراً لتطبيق الشريعة الإسلامية . ولم تحل بينكم وبين إقامة شرع الله وإعادة حكم الله . دولة دخيلة أو غاصب أجنبي ثم انسحبتم عن الميدان وتخليتم عن هذا الواجب وليتم على أعقابكم مدبرين . ورميتم تلك الشروط والصفات والخصائص والسمات التي امتاز بها المهاجرون والمستضعفون في عهد نهضتهم واستعلائهم وتمكينهم في الأرض عرض الحائط (٢) كان ذلك نكراناً للجميل . وجحوداً بالفضل . وكفراً بالنعمة ونقض عهد واخلاف وعد قد يندر نظيره في التاريخ .

إن دماءنا التي أهرقناها بسخاء في ساحات الوغى ومعارك الفداء . وفي مشهد « بالاكوت » في آخر المطاف توقيعات ووثائق على جهادنا وشهادتنا . فهذه المنطقة كلها مقبرة الشهداء . أما أنتم فقد نلتم بمحاولة بسيطة حيناً . وبجرة قلم بعض الحين مساحات واسعة شاسعة . جميلة خضراء من الأرض . بل ورثتم بعض الأحيان دولاً عظيمة مرهوبة الجانب « ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم

---

(١) سورة الحج . الآية : ٤١ .

(٢) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير .

www.abulhasanalinadwi.org

لننظر كيف تعملون » (١) . فإن لم تنتهزوا هذه الفرصة السانحة وجعلتم هذه الحرية وهذا الانتقال مطية لأغراضكم وأداة لتحقيق شهواتكم . ولم تقيموا حكم الله وشريعة الإسلام على نفوسكم وعشيرتكم . وعلى شعبكم . وأصبحت دولكم وحكوماتكم لا تختلف عن الدول الأجنبية . والحكومات العلمانية المادية . في الحضارة والمدنية . والتشريع والقانون . وأصبح حكامكم لا يختلفون عن هؤلاء الحكام في الأخلاق والسيرة . والثقافة والتربية . لم يبق عندكم عذر أمام شعوب العالم التي كنتم معها في صراع باسم الإسلام . وأمام الله العليم الخبير يوم يقوم الأشهاد . حيث تحاسبون على كل صغير وكبير .

لقد أتاح الله لكم فرصة لم نتمتع بها . فرصة ذهبية لا يجود بها الزمان إلا نادراً . فرصة تعاقب لها الليل والنهار : وقلب لها التاريخ الإسلامي آلاف الصفحات . وعاش في آمالها المعسولة وأحلامها اللذيذة عدد لا يحصى من النفوس المؤمنة الزكية . وأصحاب الطموح والهمة . والغيرة والحمية . وفارقوا هذه الدنيا قبل أن يبلغوا مناهم ويروووا غلتهم . فإذا ضيعتم هذه الفرصة الغالية . فرصة تمثيل الحياة الإسلامية الجميلة . بأجمل صورها وأروع معانيها . وأوضح أشكالها . كان ذلك مأساة رهيبة في التاريخ . وكارثة أليمة تقصم الظهور . وتقلع الأمل من القلوب والصدور .

إن هؤلاء الشهداء الذين ينامون نومة هادئة وادعة في زاوية صغيرة في هذه القرية الجبلية البعيدة « بالاكوت » يتحدثون اليوم إلى

---

(١) سورة يونس . الآية : ١٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

شعوب إسلامية نالت الحرية ، ونعمت بالاستقلال وملكت زمام القيادة ويقولون :

« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » (١) .

==========

(١) سورة محمد ، الآية : ٢٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

سر عبقرية الإمام

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

أعد ذكر نعمان لنـــا إن ذكره
هو المسك ما كررتـــه يتضوع

رجل عظيم حقاً لا يمكن أن ينساه الشعب الهندي ويستهين بقيمته التاريخ الإسلامي بما قام به من أعمال جليلة ، ومآثر خالدة ، ومواقف رائعة في ميدان الدعوة والجهاد ، ولكن ما هو السر في عظمته وشموخه وما هذا الشئ الذي رفع منزلة هذا الشاب بين أعلام الهند ، هل هو العلم ؟ إنه لم يتخرج من مدرسة ، هل هي المجاهدة والرياضة التي أوصلته إلى هذا المكان ؟ لا أبداً ، كان حوله جمع كبير من الصوفية والمشائخ ومن يفوقه في العلم كثيراً ، قد قضوا حياتهم كلها في المجاهدة ، هل هي الشجاعة والبطولة لقد كان هناك أبطال في كل ناحية من نواحي الحياة ، أبطال في الفن ، وأبطال في الحرب ، قد سبقوا الشيخ ولي الله الدهلوي مع أسرته الدينية الشريفة تخدم العلم والدين ، كان هناك أئمة في المنطق والكلام وأئمة في الشعر وأئمة في التصوف كان القرآن وكان الحديث ، إذن فما هو سر عبقريته وما هو

www.abulhasanalinadwi.org

مفتاح شخصيته العظيمة ؟ كان القرآن يدرس ككتاب قديم قد مثل دوره و قضى حياته . جل همهم تأويل الآيـــات و المناقشة حول المشتبهات . أما رسالته إلى المسلمين والعالم فلا حديث عنها ولا مكانة لها في حياتهم . كان الحديث يدرس في بعض الأوساط لكنه كان كتاب الفقه والتشريع . أما غايته الأصيلة وهي إنشاء مجتمع إسلامي نظيف صالح أمين متكافل قوي بريئ من كل معاني الشر والعدوان . متخلق بأخلاق الله فقد نسوها وتناسوها .

وهذا هو السبب أننا نرى أموراً غير شرعية وبدعات تتسرب إلى بعض البيوتات الدينية العريقة وأوساط العلم والدين فلا يدفعونها ولا يكرمونها ونرى بعض العلماء الكبار قد اختاروا بعض الشعائر غير الإسلامية من غير أن يبحثوا عن حكم الشريعة فيها ذلك بأن فكرتهم - ولا مؤاخذة - قد تفلسفت وتعقدت إنهم نظروا إلى القرآن كمصدر الخير ومنبع الحكمة . أما من ناحية كتاب يأمر وينهى ويحكم على الحياة ويعطى مبادئ قويمة الفرد والاجتماع ويطلب الكفاح والعمل في سبيل الله والإسلام . ولمصلحة الإنسانية وسعادتها . فقد تغافلوا عنها مع أن القرآن قد أنزل للعمل به وتطبيقه على الحياة لا للبحث والتدقيق والرغبة عن دعوته ورسالته إلى البشر . إنهم لم ينكروا أبداً هذه الناحية المهمة التي هي غاية القرآن ولكن هذه الفكرة التي تأثرت بالفلسفة والكلام - والهوة بين الفلسفة والحياة معلومة - لم يسمحهم بأن يقرأوا القرآن كأنه ينزل عليهم .

قام هذا الرجل في وسط هذا الجو . وإذن تحققت تلك المعجزة الكبيرة . كانت البدعات وكان بعض الوهن يوجد في بيوتات العلم والدين مع المكتبات الضخمة والتأليف النافعة والتفاسير أما في حياة

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الشاب فلا يوجد تعقيد ولا التواء ولا ضعف ولا انحراف عن جادة الإسلام مع أنه لم يتعمق في العلوم ولم يقم بالرياضات الشاقة كما فعل كبار هذا العصر . أي شئ هذا ؟ إنه أغلق تلك النافذة التي يدخل منها الذباب أما هؤلآء فقد سدوا جميع النوافذ . أما هذه النافذة التي كانت أحرى بأن تغلق فقد نسوها .

كان رجلاً عملياً لم تلطخ فكرته بآراء الفلسفة والكلام وبساطته وسلامة صدره تشبه كثيراً ببساطة هؤلآء العرب الذين آمنوا بالله ورسوله وبايعوا محمداً ﷺ . إنه نظر إلى القرآن ككتاب حياة وحكم وعمل . وكأنه خوطب به شخصياً وكلف بالقيام به وكأنه أنزل في هذا العصر لا في عصر قبله يشكو منه أنه مظلوم رغم محبيه ومهجور رغم أصدقائه . كان هذا هو المفتاح كانت هذه هي العصا السحرية كان هذا هو الأكسير ومثالاً لذلك نقول : قرأتم قصة مصباح علاء الدين . مصباح علاء الدين ما كان في حاجة إلى الاضاءة وما كان في حاجة إلى أن يوضع في الطاقات والقصور . وكان يحتاج إلى مجرد فرك على الأرض حتى يحضرالجنى . والقرآن في ذلك هو المصباح الكامل إنه ليس في حاجة إلى مجرد بحث وتفكير إنه يحتاج إلى العمل والتنفيذ حتى تنحل الأزمة وتحل المشكلة ويرضى الله وكان ملك هذا المصباح العجيب وعرف سر استخدامه وكان هذا الإيمان قد تغلغل في أحشائه وتملك مشاعره إذا رأى في القرآن موضع وعيد بكى وإذا مر على وعد استبشر . إذا رأى آية تحث على العمل والنضال شمر عن ساق الجد . وإذا رأى آية تحث على العبادة رأه الناس يتعبد في جوف الليل ويناجي ربه .

وبهذه الطبيعة العملية التي تنفر عن الكلام الفارغ وبهذا الإيمان

www.abulhasanalinadwi.org

المتغلغل في أحشائه المسيطر على ميوله ونزعاته ، وبهذه الصلة الوثيقة بالله نجح في هذا الميدان الذي تخلف عنه كثير من الناس . إنه أنشأ جيلاً جديداً متحرراً من كل أدواء العصر ، متحرراً في العمل متحرراً في الفكر كان جيلاً وليداً بريئاً من رواسب العهد الماضي ، إنه أنشأ أمة ضخمة تنتشر في طول البلاد وعرضها ، أمة نظيفة الجسم والروح ، نظيفة الفكر والعمل ، أنشأ مجتمعاً مثالياً في كل شأن من شئون الحضارة ، أميناً صادقاً متكافلاً تسوده روح الرحمة والحب والسلام .

كان هذا الجيل وهذه الأمة وهذا المجتمع عملياً كقائده يتبع الله ورسوله في كل ناحية من نواحي الحياة وكان متدفقاً بالإيمان ، والإيمان مصدر المعجزات ، وهذا الإيمان كان يسهل عليه كل عقبة ويهون عليه كل خطر .

هذه الحياة الإسلامية التي قد انقطعت منذ زمن طويل قامت من جديد بكل روعتها وجمالها لأنها أنشئت على أساس مكين من الإيمان واليقين هما سر القوة في الأمة الإسلامية .

حياة هذا الداعية حياة ذات نواح مختلفة تأثيره الفذ في الناس في تربية الحكيمة المتقنة ، إيمانه الراسخ بالغيب ، جهاده في الإسلام ، اتباعه للسنة كل منها في حاجة إلى أحاديث متوالية وكتاب جامع ، ولكن الأهم من ذلك هي قوته العملية وإيمانه بالله ، وهذا هو الشئ الوحيد الذي حققت هذه المعجزة الكبرى في بلاد الهند والمزية الأولى التي تميزه من القادة الآخرين ، إنه عرف أن طبيعة الأمة الإسلامية طبيعة عملية والإسلام لا يحب الكلام الفارغ ، ومن هذه المواد الخام من البشر الذي يئس منه المصلحون تكونت أمة لم يعرف الناس في الهند

www.abulhasanalinadwi.org

أصلح منها ولا أقوى ولا أنفع للبلاد . إنه عرف أن الإسلام لا يحتاج إلى المحامين ليدافعوا عنه . ولا إلى الحكماء ليفسروه ويكشفوا أسراره إنها هو في حاجة إلى رجال عاملين .

مضى ولكن خلف عبرة . مات ولن تموت ذكراه أبداً . كان منارة ضوء للأجيال القادمة وموضع فخر وغبطة في البلاد الهندية .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

.....

www.abulhasanalinadwi.org

المحتويات

كلمة الناشر ٣

تقديم الكتاب ..... للأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ٦

السيد أحمد بن عرفان الشهيد - رحمة الله عليه -

الهند في القرن الثالث عشر ١٤

أسرته ١٨

مولده ١٩

السفر إلى « لكناؤ » في طلب الرزق ١٩

في حضرة الشيخ عبد العزيز ٢٠

التكميل الباطني ، والإجازة والخلافة ٢١

في جيش أمير خان ٢١

العودة إلى « دلهي » ، وجولات الدعوة ٢٢

في الوطن ٢٢

جولة الدعوة والإصلاح في « لكناؤ » ٢٤

الحـــج ٢٦

في الوطن ٢٩

الحاجة إلى الهجرة ٢٩

الهجـــرة ٣١

في « أفغانستان » ٣٢

www.abulhasanalinadwi.org

حرب « أكوره » ٣٥
غارة « حضرو » والبيعة والامامة ٣٦
حرب « شيدو »» والتسميم ٣٧
في « بنجتار » ٣٨
مواجهة القائد الفرنسي لرنجيت سنگھ ٣٩
حرب « زيده » ومقتل يار محمد خان ٤٠
حرب « مايار » ٤١
فتح « پشاور » ٤١
اغتيال العمال والقضاة ٤٢
الهجرة الثانية ٤٣
إلى « كشمير » ٤٤
في « بالاكوت » ٤٥
الحرب الأخيرة والشهادة ٤٦
شهداء بالاكوت يتكلمون ..... للعلامة أبي الحسن علي الندوي ٤٩
سر عبقرية الإمام ..... للأستاذ محمد الحسني رحمه الله ٥٦

.....

www.abulhasanalinadwi.org

صدر حديثاً :

نظرات على صحيح البخاري

وميزات أبوابه وتراجمه

سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

ترتيب وتعليق

بلال عبد الحي الحسني الندوي

قام بالنشر والتوزيع :
مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية
دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله - رائ بريلي - الهند

www.abulhasanalinadwi.org